الأمويون والإسلام

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

الأمويون والإسلام

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

www.d-althagafhalqurania.com

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُه ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهـم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلـى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، كما صَلَّيْـتَ وبارَكْتَ على إبراهيـمَ وعلى آلِ إبراهيـمَ إنك حميدٌ مجيـدٌ، وارضَ اللَّهُم برِضَـاك عن أَصْحَابِهِ الأخيارِ المنتجبين، وعن سـائرِ عِبَادِك الصالحين.

أما بعد

فقـد دفعني إلـى إعداد هـذا الكتيب ـ عن بنـي أمية ودورهـم الهدام ـ ما كشـفه السـيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي حفظه الله من خلال حديثه المستمر عن بني أمية في أغلب المناسبات مما تضمنه التاريخ وحكاه عـن دورهم السـيئ في ضياع هذه الأمة التـي كان المقدر لها أن تكون خير أمـة أخرجـت للناس في كل مراحـل تاريخها إلا أنهم أضاعـوا هذه الأمة وجعلوهـا أحـط أمة بيـن الأمم وواقعها اليوم يشـهد بحجـم الجرم الذي ارتكبه بنو أمية بحقها.

فعملت على جمع بعض ما ورد عنه مع أضافة مراجع بعض النصوص التاريخيـة التـي أوردها لتسـتفيد أمتنا ولتعـرف من أين جاءهـا الخلل إذا أحبـت تصحيح وضيعتها السـيئة اليـوم، والتي هي بالتأكيـد نتيجة طبيعية

لسيرها على موروث بني أمية الذي أسس للطغيان والفساد والضياع، وأبعدها عن الإسلام المحمدي الأصيل.

ما هي علاقة الأمة بتاريخها ؟

عندما نعود إلى واقعنا فإنه هو الأساس الذي ننطلق من خلاله لقراءة التاريخ ولاستشراف الماضي؛ فالحاضر الذي نعيشه، والواقع الذي نحن فيه بكل ما فيه إنما هو نتاجٌ للماضي.

وأيضاً عندما نتجه لإصلاح ما فيه وللتغيير فيه، فنحن سنكون حتماً بحاجة إلى العودة إلى هذا الماضي، لنشخِّص من خلاله جذور ما نعيشه من المشاكل والاختلالات والأزمات، ولنستفيد مما في ذلك الماضي وما في ذلك التاريخ من الدروس والعبر التي نحن في أمسِّ الحاجة إليها للاستفادة منها في معرفة الطريقة الصحيحة، والحلول الصحيحة الناجعة والمفيدة التي تنقذ الأمة مما تعانيه.

كيف هو الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم ؟

إذا تحدثنا عن الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم بشكلٍ عام فكلنا يعرفه: واقعٌ مليءٌ بالمشاكل والأزمات والصراعات والحروب، واقعٌ تعيش فيه الأمة حالة الفرقة والاختلاف، واقعٌ مليءٌ بالمظالم، ومليءٌ بالمفاسد، مليءٌ بالمنكرات، مليءٌ بالأزمات والمشاكل، تعيش فيه الأمة التخلف على المستوى الثقافي والعلمي والمعرفي والحضاري، وتعيش فيه

الأمة أيضاً المشكلة الكبرى في واقعها الاقتصادي، من خلال ما تعانيه من الأزمات الشديدة التي لا تعود إلى ندرة الموارد، أو إلى افتقار هذه الأمة فيما لديها وفيما هي فيه على مستوى الثروات والإمكانات والطاقات.

الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم ليس حالة مفاجئة

عندما ندرس سبب هذا الواقع الذي نحن فيه، هل هو حالة مفاجئة، وأتت وطرأت على واقعنا بشكلٍ مفاجئ كأمةٍ إسلامية بمختلف شعوبها وبلدانها وأقطارها، أم هي حالة ورثها هذا الجيل كما كانت حالةً قائمةً على امتداد الأجيال الماضية، على مدى مئات السنين- القرون تلو القرون- التي عاشت ظروفاً مشابهة، وفي بعض الأحوال ظروفاً أصعب وأسوأ من هذا الظرف التي تعيشه الأمة في هذا العصر؟

حقيقة الواقع المفترض لهذه الأمة

من هنا نتطلَّع لنعرف جذور المشكلة؛ لأننا عندما نرى واقعنا وواقع الأمة بشكلٍ عام على هذا النحو، ثم نعود إلى حقيقةٍ مهمة هي: ما هو الواقع المفترض لهذه الأمة لو كانت وفق المسار الصحيح الذي رسمه الله (سبحانه وتعالى) لها.

عندما نعود إلى القرآن الكريم لنعرف ما هو الواقع المفترض بحسب انتمائنا لهذا الإسلام العظيم كأمةٍ مسلمة، انتمائنا للقرآن، انتمائنا للاتباع للرسول (صلواتُ الله عليه وعلى آله).

نعود إلى القرآن الكريم فنجد الحقيقة المفاجئة والمؤلمة جداً، عن الفجوة الكبيرة جداً بين الواقع المفترض أن تكون الأمة عليه لو أنها سارت وفق ذلك المسار المرسوم لها من الله (سبحانه وتعالى) والواقع الذي تعيشه الأمة، وهو يختلف كلياً عن ذلك الواقع المفترض، ثم ندرس ما هي المشكلة وأين جذور هذه المشكلة.

الله (سبحانه وتعالى) قال في كتابه الكريم وهو يذكر نعمته العظيمة علينا كأمةٍ مسلمة، يقول (جلَّ شأنه): ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الجمعة: ٢-٣]، الله (سبحانه وتعالى) امتنَّ علينا بخاتم رسله وأنبيائه سيدنا محمد (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله)، وبعثه بالرسالة لينفِّذ مهمةً عظيمةً لها أثرها الكبير في الناس وفي واقع حياتهم، يمتد أثرها في أنفسهم وإلى واقع حياتهم.

هذه المهمة عبَّر عنها وفق النص القرآني: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، وهذه النصوص المباركة في هذه الآية القرآنية: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ آيات الله (سبحانه وتعالى) التي هي نور، التي فيها الحقائق التي ينبئنا الله عنها ويخبرنا بها؛ فتصنع فينا البصيرة، وتمنحنا الوعي، ونكتسب بها الهداية، التي فيها أيضاً التوجيهات الحكيمة والبنَّاءة والمثمرة والنافعة والمصلِحة للإنسان ولحياته، والتي فيها الدعوة من الله إلى كل خيرٍ ورشدٍ وفلاحٍ وعزةٍ.

آيات الله التي هي من حكمته ومن رحمته، ويدعونا فيها إلى ما فيه الخير لنا، إلى ما يصلح حياتنا، التي فيها البرنامج الإلهي لهذا الإنسان الذي تصلح به حياته، وتستقيم به حياته، التي فيها- ما إن التزمنا به- ما يحقق لنا في واقعنا العدل، ما يحقق لنا في واقعنا الألفة والصلاح، ما يحقق لنا في واقعنا الاعتصام والكلمة الموحَّدة.

ما يصلح أنفسنا أيضاً من خلال قوله أيضاً: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، هذه التزكية التي تنمِّي فينا الخير، وتنمِّي فينا مكارم الأخلاق، وتهذِّب النفس البشرية؛ لتضبط غرائزها، ولتنقيها من حالة الميول الفاسدة، والنزعات الخطرة، والميول الشريرة.

التزكية التي تعني تنمية مكارم الأخلاق، وفي نفس الوقت الحد من تنامي كل عناصر الشر في داخل النفس البشرية، وكل المساوئ والسلبيات التي تؤثِّر على الإنسان في أعماله، وفي تصرفاته، وفي مواقفه، وفي سلوكياته بشكلٍ عام.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾، من جديد تتمحور المهمة الرئيسية للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) حول الكتاب: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾، وكذلك قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في تعليمه الكتاب لم يكن مجرد أستاذٍ يقدم المعارف على النحو الذي يقدِّمه الأستاذ للتلاميذ، بل أكثر من ذلك، كان من موقع التربية، كان من موقع المسؤولية، كان من موقع القيادة، كان من موقع التحرك العملي، كان من

موقع الإرشاد المرتبط بالواقع الذي يتجه إلى هذا الواقع، كان من واقع الإدارة لشؤون هذه الأمة.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الحكمة لتكون أمةً حكيمةً في تصرفاتها، في مواقفها، في رؤاها، متوازنة (لا إفراط ولا تفريط) صائبة، راشدة، لا تعيش حالة الغباء، ولا تعيش حالة التحرك وفقاً للغرائز، ومن خلال الاندفاع الغريزي ومن خلال هوى الأنفس، أو من خلال رؤى خاطئة وأفكار باطلة؛ إنما لتكون أمةً راشدة، تمتلك الرؤى الصحيحة، المفاهيم الصحيحة، وتنضبط على أساسها في تصرفاتها الصحيحة والمسؤولة والمنضبطة بمعايير الحكمة وموازين الحكمة.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ ما قبل هذه النعمة الإلهية ببعثة الرسول ونزول القرآن ومجيء الإسلام ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ كل هذا كان غائباً عنهم، فكانوا يعيشون حالة الضياع بما تعنيه الكلمة، حالة التصرف بعيداً عن المسؤولية، عن الحكمة، عن الزكاء.

نعمة الإسلام ليست خاصة بالجيل الأول

وهذه النعمة ليست منحصرةً وخاصةً بالجيل المعاصر لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ إنما أرادها الله نعمةً تستمر في هذه الأمة، وتستمر في الواقع البشري من خلال هذه الأمة التي - إن سارت وفق المسار الصحيح - يمكن أن تتسع دائرتها في الوسط البشري، ولهذا قال الله (جلَّ شأنه):

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ للأجيال القادمة، للأجيال اللاحقة، هذا هدى الله لها، هذه نعمة الله المقدَّمة لها.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وثمرة كل هذه النعمة الإلهية، كل هذه الإرشادات (نعمة القرآن، نعمة الرسول بهذه المهمة العظيمة) هي: عزة، وهي حكمة، وهي خير، وهي رشاد، والله (سبحانه وتعالى) فعل كل ذلك بعزته وبحكمته.

أيضاً في القرآن الكريم يقول الله (سبحانه وتعالى): ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: من الآية ١١٠]، يريد الله (سبحانه وتعالى) للأمة الإسلامية أن تكون خير أمة، وهيَّأ لها خير قادةٍ وخير هداةٍ، هيَّأ لها الطليعة والنواة التي يمكن أن تقودها على هذا الأساس لتجعل منها خير الأمم.

﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ لأن المسؤولية مسؤولية عامة، مسؤولية تجسيد هذه القيم والتحرك بهذه الرسالة في أوساط البشرية، وقيادة المجتمع البشري على أساسٍ من هذه المبادئ والتوجيهات والتعليمات الإلهية المهمة.

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ثلاث عناصر أساسية تقوم عليها خيرية الأمة، وتنطبق كلياً في أخيار هذه الأمة، في صفوة هذه الأمة، في هداة هذه الأمة، ويراد للأمة أن تنهج هذا النهج، وأن تسير في واقعها على هذا الأساس، أن تكون الأمة التي تتحرك وهي

تحمل هذه المسؤولية، وفي نفس الوقت تلتزم في واقعها على أساس هذه المسؤولية؛ فتكون هي أمة المعروف.

المعروف الذي يشمل كل مكارم الأخلاق، يشمل كل الإيجابيات، يشمل كل ما دعانا الله إليه، وأمرنا الله به، ورسمه لنا في هذه الحياة، يشمل كل ما يترتب عليه الخير لنا والفلاح والصلاح، وما تصلح به حياة البشر، هذا المعروف الذي أراد الله (سبحانه وتعالى) للأمة أن يكون لها النهج، وأن يكون لها المبادئ، وأن يكون لها العنوان الذي تتحرك في تفاصيله ملتزمةً بها، وداعيةً إليها، وآمرةً بها، وساعيةً إلى ترسيخها وإلى نشرها وإلى فرضها في واقع الحياة.

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ المنكر: ذلك العنوان الواسع الذي يندرج تحته كل التفاصيل السيئة: الفساد، الظلم، الباطل، الجرائم... كل تلك التفاصيل والسلبيات الخطيرة والسيئة في واقع الحياة، أن تكون هذه الأمة أمةً تعمل على تحصين ساحتها من المنكر، وتحارب المنكر، تمقت المنكر، تتخذ المواقف الحاسمة ضد المنكر، تسعى لإزالة المنكر، تنهى عن المنكر، تسعى لتحصين ساحتها الداخلية وتطهير ساحتها الداخلية من المنكر، ثم تسعى إلى- أيضاً- إلى إزاحة هذا المنكر من واقع حياة البشرية؛ فتكون الأمة الناهية عن المنكر، والتي لا تقبل بالمنكر: سواءً كان هذا المنكر ظلماً، أو فساداً، أو انحرافاً أخلاقياً، أو باطلاً.

كل التفاصيل التي تندرج ضمنها، كل السلبيات السيئة في واقع الحياة وفي كل مجالات الحياة، فتكون هذه الأمة أمةً تحصِّن نفسها وتبعد نفسها

عن المنكر، ثم تنهى عنه أيضاً في الساحة البشرية من حولها، وتنطلق في هذه المسؤولية بكلها، وهي مسؤولية كبيرة جداً؛ لأنها ستضبط مسيرة حياتها على أساسها.

يكون المعروف هو الذي نعمل على أن نربط مسيرة حياتنا، برنامج حياتنا، ننظم شؤون حياتنا في كل المجالات: إن جئنا إلى المجال الاقتصادي، إن جئنا إلى المجال السياسي، كل مجال من مجالات الحياة، كل شأن من شؤون هذه الحياة، في واقعنا الاجتماعي، في واقعنا الاقتصادي، في واقعنا السياسي، في كل مجال، في سلوكياتنا وتصرفاتنا بشكلٍ عام نضبطها بالمعروف وعلى أساس المعروف، ثم نعمل على إزاحة المنكر، على تنقيتها من المنكر، على تطهيرها من المنكر، على التخلص من هذا المنكر في كل أشكاله السلوكية والعملية.

هذه الأمة يضبط برنامجها هذا ومسؤوليتها هذه ضابطٌ مهم وأساسيٌ: هو الإيمان بالله، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ عندما تنطلق على هذا الأساس هو الذي يضمن لها الاستقامة، ويضمن لها الدافع، ويضمن لها العامل المهم الذي يساعدها على الانضباط وفق هذه المسؤولية المهمة والعظيمة.

هذه الأمة هي الأمة التي قال لها الله (جلَّ شأنه) في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾[المائدة: من الآية٨]، هي الأمة التي أمرها الله، وجعل من أهم التزاماتها الإيمانية والدينية أن تكون أمةً قائمةً لله، بل قوامةً وليس فقط قائمة، لما يفيده هذا التعبير القرآني (قَوَّامِينَ) من حركة مستمرة، من نهوض مستمر، من حركة متصاعدة، ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾،

قواميـن بماذا؟ يعني: تنهضون بهذه المسـؤولية، تقومون بمسـؤوليتكم في إحقـاق الحـق، في إقامة العدل، في الالتزام بمنهج الله (سـبحانه وتعالى)، في إصـلاح واقع الحياة، فـي الالتزام بالمبادئ والقيـم والأخلاق التي أمر الله بها، في دفع الظلم، في دفع الفسـاد، في دفع المنكر، في التجنّد لله (سـبحانه وتعالـى)، فتكونـون جنداً لله فـي مواجهة كل عناصر الشـر والإجرام، وكل أولياء الشيطان، في مواجهة كل المؤامرات الشيطانية، كل المفاسد والمظالم التي يتحرك بها الأشرار في هذه الأرض.

﴿شُـهَدَاءَ بِالْقِسْـطِ﴾ أمة تشهد بالقسـط فيما تجسـده كواقعٍ عمليٍ يقدِّم الشـهادة على أنها أمة تلتزم بالقسـط، وفي ما تشـهد به كذلك في الواقع.

يقول الله (سـبحانه وتعالى) أيضاً في القـرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْـطِ﴾ هنا آية - أيضـاً - تركِّز وتدخل مباشـرة إلى المسـؤولية، هنـاك: ﴿قَوَّامِيـنَ لِلَّهِ﴾ ولها مدلوها المهم فـي أن يكون اتجاه هذه الأمة من أجل الله (جلَّ شأنه)، ووفق الطريقة التي رسـمها الله (سـبحانه وتعالـى)، فتصلـح النية، ويتجـه الجميع نحو الهدف الصحيح الذي رسـمه الله، ووفق الطريقة التي رسمها الله.

هنـا يدخل أيضاً إلى صلب الموضوع، إلى المسـؤولية بشـكلٍ مباشـر: ﴿قَوَّامِينَ بِالْقِسْـطِ﴾، أن نكون الأمة التي تعمل وتسعى وتتحرك وتقوم بما يعنيه هذا القيام من عمل، من تضحية، من نهوض، من جهاد، من تحملٍ للمسـؤولية، ﴿بِالْقِسْـطِ﴾ لإقامة القسـط فـي واقع الحياة بما يشـمله من

مفاهيم، في مقدِّمتها العدل، ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[النساء: من الآية١٣٥].

الأمة التي يقول لها الله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران: ١٠٣] الأمة التي نهاها الله عن التفرق: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: الآية١٠٥].

وهكذا لو نأتي إلى القرآن الكريم كم فيه من الآيات القرآنية المباركة التي تحدد للأمة هذه كيف تكون، وما ينبغي أن تكون عليه، وبالتالي ما سيترتب على ذلك من نتائج.

الأمة إذا كانت تتحرك وفق هذا المسار المرسوم لها من الله (سبحانه وتعالى): تزكية، مكارم أخلاق، أمر بمعروف، نهي عن منكر، إقامة للقسط، نهوض بالمسؤولية، مواجهة للمنكر وسعي لإزالته، مواجهة للطاغوت وللظلم وللفساد؛ كيف ينبغي أن تكون حياتها؟ كيف ينبغي أن يكون واقعها؟ الواقع الذي بُني على أساس توجيهات الله وتعليماته في القرآن الكريم: العدل سيتجسد في واقع الحياة، الخير سيكون هو السائد في واقع الحياة، الاعتصام بحبل الله جميعاً والألفة ستكون هي السائدة في واقع الحياة، ثم الزكاء والتربية على مكارم الأخلاق، والاستقامة في السلوكيات والتصرفات، والرشد في الرؤى والأفكار، والحكمة في كل الاتجاهات: رؤيةً، سلوكاً، عملاً، موقفاً..

ثم العلاقة في الواقع الداخلي للأمة، معنى ذلك كله أن تصلح حياة الناس، أن تستقيم على أساسٍ من هذه القيم العظيمة والمبادئ العظيمة، وأن يسود فيها الخير، وأن يقود فيها هذه الأمة أخيارها وصلحاؤها ورشداؤها وهداتها على أساسٍ من هذه القيم.

ولكن ما الذي نرى عليه واقعنا؟ هل هو هذا الواقع كأمة بشكلٍ عام في مختلف أقطارها وبلدانها؟ هل نرى الحكمة هي السائدة؟ هل نرى الرشد والزكاء ومكارم الأخلاق هي السائدة؟ هل القيام بالقسط هو الحالة السائدة في واقع هذه الأمة بمختلف بلدانها وشعوبها ودولها؟ هل وحدة الكلمة والاعتصام بحبل الله هو الواقع السائد؟ هل القيادة للمجتمع البشري من حولنا وفق هذه المسؤولية المهمة والعناوين العظيمة التي تندرج تحتها هذه التفاصيل المهمة هي الحالة القائمة؟ أم أننا نشاهد بِأُمِّ أعيننا الكثير من زعماء هذه الأمة ومن قادتها ومن حكوماتها وهي تعيش واقع التبعية – المكشوفة الواضحة الفاضحة – لأعداء هذه الأمة: لليهود، للصهاينة، للأمريكان، لطغاة هذا العصر ومستكبريه، لأولياء الشيطان؟ أم أننا نرى الواقع يفتقر إلى حدٍ كبير إلى دفع هذه الأمة لتستحضر هذه المسؤولية، هذا المسار الصحيح، وتسعى إلى العودة إليه؟

مع وجود هذا التوجه كحالة قائمة في واقع الأمة، لكن هذا التوجه القائم في واقع الأمة هنا أو هناك، في نطاقٍ محدود هنا أو هناك، هو ثمرة لتضحية أعلام الهدى عبر التاريخ بدءاً بأمير المؤمنين علي (عليه السلام).

هناك فجوة كبيرة في واقع الأمة

فعلى كُلٍّ: هناك فجوة كبيرة جداً في واقع هذه الأمة بكلها- بشكلٍ عام- ما بين الواقع المفترض، الذي نفترضه واقعاً يسود فيه: الصلاح، والخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والعدل، والوحدة، والاعتصام بحبل الله جميعاً، والاستقامة وفق المنهج الإلهي بكل تفاصيله تلك، وبناء الحياة على أساسه، والنهوض بالدور المهم المنوط بنا كبشر مستخلفين في هذه الأرض على أساسٍ من ذلك الهدى، وبناء حضارة إسلامية رائدة متميزة، تقود المجتمع البشري على أساسٍ من منهج الله (سبحانه وتعالى).

هذه الأشياء غائبة في واقع الأمة إلى حدٍ كبير، ونشاهد المآسي اليومية في واقعنا كأمة، المظالم الرهيبة والكبيرة، الحالة المأساوية من التخلف، والشتات، والفرقة، والنزاعات، والأمِّيَّة الكبيرة، ونقص الوعي بالمفاهيم القرآنية، وغياب كبير للثقافة القرآنية في واقعنا، لا تعيش الأمة- بشكلٍ عام- حالة هذا التمحور الذي أتى في الآية المباركة في قول الله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

هذا التمحور حول القرآن الكريم؛ للاهتداء به، للتثقف بثقافته، للاسترشاد به، للاهتداء به، للتحرك في هذه الحياة على أساسه، لاتخاذ المواقف والتمسك بالمواقف التي يحددها، والتي أمر الله بها في هذا الكتاب المبارك ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ غائبٌ هذا في واقع الأمة- بشكلٍ عام- إلى حدٍ كبير.

الأمة تعاني من مشكلات كبيرة

ولهذا تعاني هذه الأمة من مشكلات كبيرة، ومن مظلومية كبيرة، أمة تعاني من التظالم الداخلي، هناك سلطة ظالمة جائرة هنا أو هناك، كالنظام السعودي الذي نشاهد ما يفعله هو ومن يتحالف معه تحت قيادة أمريكا وبالتحالف مع إسرائيل ضد شعبنا العزيز، فنجد المشاهد المأساوية من القتل الذريع للآلاف من الأطفال والنساء والناس الأبرياء، ونرى الحصار الاقتصادي الخانق- الذي هو محرَّمٌ شرعاً، ومن أكبر المنكرات، ومن أكبر الجرائم- بحق شعبٍ بأكمله.

ونرى مظلومية هذه الأمة فيما يعانيه شعب فلسطين أمام مرأى ومسمع من بقية أبناء الأمة، ما يعانيه المسلمون في أقطارٍ شتى، مثلما يحصل على [الروهينجا] هناك، مثل ما يحصل أيضاً على المسلمين في [كشمير] مثل ما يحصل في شتى بقاع الأرض هنا أو هناك، كم هي مظالم هؤلاء المسلمين.

أين هي الأمة من كل هذه المظالم؟ أين تلك القيم التي تجعلها في موقع الأمة التي تقوم بالقسط، تواجه الظلم، تتصدى للمنكرات، تدرك مسؤوليتها الكبرى؛ فتكون لائقةً بهذه المسؤولية في القيام بالعدل، في التصدي للطاغوت، في إصلاح واقع الحياة؟ هذا الواقع المفترض، وهذه الفجوة الكبيرة لم تكن فجوةً ما بين الواقع وما بين الواقع الفعلي والواقع المفترض بحسب ما رسمه الله لهذه الأمة، لم تكن حالةً خاصةً بعصرنا هذا.

عندما نعود إلى التاريخ: سواءً هذا الجيل الذي قبلنا، أو الأجيال ما قبله،

جيلاً بعد جيل على مدى زمنٍ طويل، عبر المئات من السنين، عبر القرون والأجيال الماضية، سنجد واقعاً مظلماً، مليئاً بالمآسي، والمظالم، والمفاسد، والجهل، والتخلف، وغياب هذه القيم، ولكن ليس إلى حدٍ نهائي، يوجد عبر كل هذا الامتداد الزمني يوجد هناك حضور وامتداد للحق، للمبادئ الإلهية، للقيم الإسلامية، يتمثل ذلك الامتداد في أهل البيت (عليهم السلام) ومن كان معهم من صالحي الأمة، من رشداء الأمة، من أبناء الأمة الأخيار والأبرار والصالحين الذين كانوا على امتداد هذا الزمن على نحوٍ مغاير، مغاير للحالة العامة، للحالة السائدة، للحالة المنتشرة، ولكنهم كانوا- في كثيرٍ من الحالات وعلى مدى مئاتٍ من السنين- كانوا محارَبين، كانوا- في كثيرٍ من الحالات- إلى درجة أن يعيشوا الغربة في واقع هذه الأمة، أن يعانوا من الخذلان في الساحة العامة.

ما الذي حدث للأمة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه ؟

ولهذا عندما نأتي لنقول لماذا؟ لماذا كل هذا؟ لماذا هذه الفجوة؟ لماذا هذا الواقع المختلف؟ ما الذي حدث حتى انحرف مسار الأمة عن تلك المبادئ العظيمة والقيم الإلهية، وحتى أصبح التوجه الرسمي - الذي عادةً ما تكون عليه الحكومة التي تحكم هذه الأمة، والذي عادةً ما يكون عليه القادة الذين قادوا هذه الأمة من موقع السلطة - لماذا هذا الانحراف الرسمي في واقع الأمة الإسلامية؟ ماذا كان وراء هذا الانحراف؟ وأين كانت جذوره؟[1]

***

(١) المحاضرة الأولى بذكرى عاشوراء الثامن من محرم ١٤٤١هـ.

أبو سفيان ومرحلة الإسلام الأولى

هنا سنعود بالحديث إلى مرحلة الإسلام الأولى في عهد رسول الله (صلواتَ الله عليه وعلى آله) حيث كان ألدّ الخصوم الذين تحرَّكوا ضد هذا الإسلام وحاربوا رسول الله (صلواتَ الله عليه وعلى آله) بكل أشكال الحرب: الحرب الدعائية، الحرب العسكرية، الحرب الاقتصادية... الحرب في كل وسائلها وفي كل مجالاتها، كان ألدّ عدو هم قريش.

قريش كانوا في طليعة من عادوا رسول الله (صلواتَ الله عليه وعلى آله)، وحاربوه أشد المحاربة، وكانوا هم في الصورة وفي الميدان العدو الأبرز المتزعم لهذه الحرب، وكان يقود قريش في هذه الحرب ضد رسول الله (صلواتَ الله عليه وعلى آله)، ويتزعم قريشاً في كل تلك الفترة إلى السنة الثامنة للهجرة النبوية: أبو سفيان.

أبو سفيان هو كان زعيم بنو أمية في وقته وكبيرهم، أبو سفيان كان هو القائد الفعلي والقائد العام لقريش في حربها ضد رسول الله (صلواتَ الله عليه وعلى آله)، وكان معروفاً بشدة عدائه للإسلام ولرسول الله (صلواتَ الله عليه وعلى آله)، وهذا العداء كان يمتد داخل أسرته، وتعرف الأمة ويعرف الناس ما سطَّره كُتَّاب السِّير والمؤرِّخون عن زوجته التي استحقت أن تسمى بآكلة الأكباد، فيما يعبِّر عنه ذلك من الحقد الشديد، وهي التي بقرت بطن حمزة- عم النبي (صلواتَ الله عليه وعلى آله)- وتناولت بعضاً من كبده لتأكله؛ من شدة حقدها وعدائها للإسلام وللمسلمين وللرسول

(صلواتُ الله عليهِ وعلى آله) ولأنصاره، وبالذات الأنصار الأبطال والمجاهدين العظماء كحمزة.

أبو سفيان حارب رسول الله (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله)، وقاد الحرب ضد الإسلام والمسلمين، ولم يألوا جهداً في حربه وعدائه، ولكنه في السنة الثامنة للهجرة - وهي السنة التي تمكَّن فيها الرسول (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله) ومعه المسلمين من فتح مكة بنصرٍ من الله (سبحانه وتعالى)، وفتحٍ من الله (سبحانه وتعالى): ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[الفتح: الآية ١]، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[النصر: الآية ١] - في السنة الثامنة للهجرة فُتحت مكة بنصرٍ إلهي عظيم، ولم يتمكن أبو سفيان ومعه جيوشه ومجتمع مكة بمن كان فيهم من المشركين أن يعيقوا هذا الفتح، بل إنهم أصيبوا بالشلل عسكرياً، لم يتمكنوا حتى من القيام بموقف عسكري للتصدي للفتح الإلهي المبين الذي فتحه الله لرسوله (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله)، وأُرغموا على الاستسلام، وذاقوا مرارة الهزيمة.

وفي ظل هذا الاستسلام اجتمعوا بالقرب من الكعبة المشرَّفة، وخطب فيهم الرسول (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله)، الذي دخل فاتحاً وقد نصره الله عليهم بعد أعوام طويلة من المحاربة بكل أشكال المحاربة، أيام كان في مكة وهم يحاربونه بالكفر، والتكذيب، والحروب الدعائية، والتعذيب للمؤمنين به، ويكيدون له، ويمكرون به، ويتآمرون عليه، ويؤذونه، ويسعون إلى القضاء على رسالته بكل أشكال المحاربة، وما بعد الهجرة بالحروب العسكرية، وبشتى أشكال الحروب، اجتمعوا بعد كل ذلك

التاريخ الأسود المظلم الذي عاشوا فيه حالة الجحود والتنكر لرسالة الله (سبحانه وتعالى)، والعداء الشديد لرسوله وخاتم أنبيائه (صلواتُ الله عليه وعلى آله).

تلك المرحلة الماضية التي وقفوا فيها لمناصرة الطاغوت، في سعيٍ منهم إلى محاربة الإسلام بما يمثِّله هذا الإسلام، وما فيه من مبادئ عظيمة، وأخلاق عظيمة، ومنهج ربَّاني عظيم، وقفوا دائماً بالباطل، وجادلوا به ليدحضوا به الحق، وقفوا سعياً منهم لوأد الرسالة الإلهية والقضاء عليها، وسعياً منهم للمحافظة على ذلك الواقع الظلامي بكل ما فيه من جاهليةٍ جهلاء، وكلما في تلك الجاهلية من الممارسات المنحرفة، والخرافات، والأباطيل، والمنكرات، والمفاسد، والمظالم، كانوا يريدون أن تبقى الساحة البشرية ساحة ظلامية، ساحة وبيئة للمنكرات والمفاسد، ولكنهم فشلوا.

وفي النهاية أرغموا على الاستسلام، وخطب فيهم النبي قائلاً: **«ماذا تظنون أنِّي فاعلٌ بكم؟»**، وهم يعرفون من هو رسول الله، يعرفون ما هو عليه من مكارم الأخلاق العظيمة، قالوا: (أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم)، هم يحاولون أن يتوددوا بالرحامة والقرابة؛ باعتبار قريش تجمعهم برسول الله رابطة هذه القرابة، فبنو هاشم بطنٌ من بطون قريش، قال: **«أقول لكم ما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»**.

(الطلقاء) ماذا يعني هذا الاسم ؟

يعتبر هذا الاسم (الطلقاء) اسماً مهماً جداً، سمَّاهم به رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهذا الاسم له مدلولٌ مهم، إذ أنه ليس فقط ينحصر على مدلول العفو عنهم، بل أكثر من ذلك، هذه الفئة تختلف عن الفئات الأخرى في واقع المجتمع الإسلامي، تتشكل الأمة الإسلامية- آنذاك- في واقعها من فئتين مهمتين، مثَّلت- آنذاك- قطباً قامت عليه رحى الرسالة، واتسعت دائرة الإسلام من خلاله، ومثَّل النواة للمجتمع الإسلامي، هم (المهاجرون والأنصار).

وهذه التسمية لذلك المجتمع ولتلك الفئة التي أرغمت على الاستسلام، ودخلت الإسلام في وقتٍ متأخر؛ نتيجةً لهزيمتها، وليس نتاجاً لقناعتها ورغبتها، ولا لتقبلها على أساسٍ من التفهم والاستجابة الصادقة؛ إنما نتيجةً لظروف قاهرة، ولنصرٍ إلهي حاسم، ولفتحٍ مبين، وحالةً من الإرغام بعد الهزيمة والاستسلام (الطلقاء).

الطلقاء إذاً فئة أخرى لا يحسبون من المهاجرين، ولا يحسبون من الأنصار.

وأدرك أبو سفيان ماذا يعنيه هذا الاسم، وماذا يدل عليه، وسعى ومعه البعض من أولئك الطلقاء إلى أن يطلبوا من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يدخلوا ضمن المواثيق، وضمن التسمية الأخرى التي هي: المهاجرين والأنصار، فأن يكون ما يشملهم هو نفس ما شمل المهاجرين

والأنصار، وأن يدخلوا تحت ذلك الارتباط المهم فيما يعنيه من: روابط، وولاء... مدلولات مهمة جداً.

لكن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) رفض ذلك، رفض أن يدخلهم إلى مصاف المهاجرين والأنصار، وحرص على أن يبقى لهم هذا الاسم، ومن لحق منهم بعد الفتح من مكة بالمدينة لم يعتبر في صف المهاجرين، وفي عنوان المهاجرين، لا يعتبر كذلك.

الطلقاء هؤلاء بقي لهم هذا الوصف، لماذا؟ الكثير من المجتمع المكي الذي يعرف رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وعاش رسول الله ونشأ في أوساطهم، عرفوه عن قرب بأكثر مما يمكن أن يعرفه أيُّ مجتمعٍ آخر، سمعوه، وأتت الرسالة والبعثة بالرسالة بين أوساطهم، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بما منحه الله (سبحانه وتعالى) من المؤهِّلات العظيمة، وهو يتحرك في أوساطهم يقيم أمر الله، يبلِّغ رسالة الله بجدارة عالية، بقدرات كبيرة، بمؤهِّلات عظيمة، يستطيع أن يقنع أيَّ إنسانٍ منصف.

لكنَّ ذلك المجتمع أصرَّ على موقفه في كثيرٍ منه، هناك من آمن، هناك من كانوا عظماء، لكن أكثرية هذا المجتمع كان لها موقف معاند، كانت تتجه الاتجاه المحارب للإسلام، المتنكر للرسالة الإلهية، ومعنى هذا: التنكر لتلك المبادئ التي أتى بها الإسلام، ولكل تلك الأخلاق والقيم التي أتى بها الإسلام، ولكل تلك الأسس العظيمة والمهمة التي يُبنى عليها الإسلام في كل تفاصيله: في شرعه، في نهجه، في تعاليمه...إلخ.

تلك الفئة التي أصرَّت، عاندت، تنكَّرت للرسالة الإلهية، جحدت، كانت غير منصفة، لم تتأثر بالآيات ولا العِبَر، أساءت إلى الله، وأساءت إلى رسوله، تفرعنت وساءت إلى أن وصلت إلى درجةٍ عبَّر عنها القرآن الكريم بنصٍ مهمٍ جداً: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[يس: الآية٧]، ماذا تعنيه هذه الآية المباركة؟ (لَقَدْ): هذه عبارة تأكيد، (اللام) و (قد) في هذا التعبير القرآني يحمل معنى التأكيد، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾.

ما هو القول الذي حَقَّ على أكثرهم؟ أنه الوعيد الإلهي، القول الذي حَقَّ على أكثرهم هو الوعيد بجهنم، الوعيد بالعذاب، بمعنى: أنَّ الأكثرية من أولئك الذين بُعِثَ فيهم وأنذرهم فجحدوا الرسالة، وتنكروا للرسول وهم يعرفون من هو، يعرفون أمانته، يشاهدون الآيات الشاهدة، والمعجزات الدالة على صدقه، وتنكَّروا مع كل ذلك، (حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ): حَقَّ الوعيد الإلهي على أكثرهم، وصلوا في سوئهم، في عنادهم، في كفرهم، في إجرامهم، في فسادهم، إلى درجةٍ أصبحوا فيها من أهل جهنم، أصبحوا يستحقون العذاب الإلهي، فقدوا كل عناصر الخير في داخل أنفسهم، فسدت نفسياتهم، حتى أصبحت بعيدةً تأبى أن تتقبل هذا الدين في مبادئه العظيمة وأخلاقه العظيمة؛ فخذِلوا، فلم يعودوا قابلين للإيمان أبداً.

خذِلوا لهذه الدرجة التي أصبحوا فيها جهنميين بما تعنيه الكلمة، منتهى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان حينما يضل ويخذل ويفسد فلا يعد

قابلاً للحق، ولا متقبلاً للهدى، ولا منسجماً مع الفطرة، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، لا يمكن أن يؤمنوا؛ لأنهم قد خذلوا إلى هذه الدرجة الرهيبة جداً.

فئة الطلقاء لم يعلنوا إسلامهم عن قناعة

هذه الفئة عندما كان في يوم فتح مكة وأعلنت إسلامها، لم تعلن إسلامها عن إيمان، إنَّ القرآن يؤكِّد هذه الحقيقة، لم تعلن إسلامها عن قناعة، كانت المسألة بالنسبة لها حالة استسلام، حالة ارغام، حالة هزيمة، ولذلك حينما دخلت في هذا الإسلام دخلته كحالة استسلام، وليس كحالة إيمان، ومعنى ذلك ماذا؟ دخلوا كمنافقين في هذا الدين.

عندما دخلوا كمنافقين في هذا الدين، ونعرف من خلال القرآن الكريم ماذا ستكون توجهاتهم، اهتماماتهم، برنامجهم، ما هو البرنامج الذي عليه المنافقون؟ الله يقول في القرآن الكريم: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة: من الآية٦٧]، هذا هو البرنامج الذي يسير عليه المنافقون بعد أن ينتموا للإسلام، بعد أن يشهدوا بالشهادتين، بعد أن يمارسوا طقوساً من طقوس الإسلام كحالة شكلية، بعد أن يتقبَّلوا بعضاً من هذا الإسلام بشكلٍ أو بآخر، لكنَّ برنامجهم في هذه الحياة ليس هو برنامج الإسلام الذي رسمه: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: من الآية١١٠].

إنَّـه اتجـاهٌ معاكس، إنَّـه برنامجٌ مختلـفٌ كلياً، على العكـس من ذلك (يَأْمُـرُونَ بِالْمُنْكَـرِ)، المنكر الـذي هو مناقضٌ للمعروف فـي كل تفاصيله تلك: ظلم، فسـاد، جرائم، تربية فاسـدة...إلخ. (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ)، فهم يتجهون اتجاهاً مختلفاً.

ما الذي يمثله وصول بني أمية إلى السلطة ؟

الرسول يستشرف مستقبل الأمة في ظل السلطة الأموية

مـما أخبـر به النبي (صلـواتَ الله عليه وعلـى آله) ما رآه فـي منامه- من رؤى الوحـي طبعاً- أنهم ينزون على منبره نزو القردة، يذبُّون الناس عنه، وكان لهذه الرؤيا مدلولها المؤلم جدًّا، يعبِّر عن طبيعة الدور الذي يصرف الناس عن نهج رسول الله، عن هدي رسول الله، منبره رمزيته في هذه الرؤيا تعبِّر عن دور الهداية الذي قام به الرسول (صلواتَ الله عليه وعلى آله) في هذه الأمة، فهم سيصرفون الناس عن نهجه من موقع السلطة والحكم باسم الخلافة، وهـو ملكٌ عضوض كـما هو أيضاً متفقٌ عليه؛ فإذاً هذا الدور السـلبي جدًّا والتخريبـي، وكانوا في هذا الدور يشـبهون القردة، في كلـما تعبِّر عنه هذه الصورة البشـعة من حقيقة ما هم عليه من انحراف كبير، ومن دورٍ سـلبيٍ وتخريبيٍ وتضليليٍ كبير.[1]

ولذلـك مثَّل وصـول بني أمية إلى السـلطة فـي واقع هـذه الأمة كارثة

(١) محاضرة السيد عبد الملك حفظه الله بتاريخ ٩ محرم ١٤٤١هـ.

رهيبة جداً، كان يتخوفها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) على هذه الأمة من يوم أن رأى في منامه أولئك وهم ينزون على منبره نزو القردة، فحزن حزناً شديداً لذلك، أيُّ مستقبلٍ مظلم ينتظر أمةً يصل فيها منافقوها والطلقاء أولئك الذين لم يدخلوا في الإسلام إلا من واقع الهزيمة والاستسلام، يصلون فيها إلى موقع القرار والسلطة، والأمر في هذه الأمة، يصلون إلى التَّحكم في رقاب أبناء هذه الأمة؟! كانت كارثةً كبيرة.

ما الذي عمله بنو أمية بالأمة؟

إذا جئنا إلى الاستقراء للتاريخ كعناوين فيما فعلوه:

عاشوا أولاً: النزعة الانتقامية، كانوا يحملون عقدة الانتقام من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومن أهل بيته، ومن أصحابه الأخيار، وحتى عقدة الانتقام من مدينته، وحتى عقدة الانتقام من مقدَّسات هذا الإسلام.

لو نأتي إلى استقراء لبعضٍ من هذه العناوين، عندما وصلوا إلى السلطة وذهب أبو سفيان إلى أين؟ ذهب إلى قبر حمزة؛ لأنه لم يكن بالإمكان أن يذهب إلى قبر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وإلَّا لذهب، حالة النفاق تقتضي أن يكون هناك قدرٌ ما من محاولة التظاهر بهذا الإسلام في عناوين معينة ومستويات محددة؛ لأنه لا يمكنه الذهاب إلى قبر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

ذهب إلى قبر حمزة بن عبد المطلب، ركل القبر بقدمه وحذائه متباهياً-

فيما يعبِّر عنه- بوصولهم إلى السلطة، وبأنهم من هذا الموقع سينفِّذون خطتهم التي كانت هي المشكلة ما بينهم وبين رسول الله.[١]

يروي بن أبي الحديد في شرح النهج بأن (أبو سفيان) ذهب إلى قبر حمزة رضوان الله عليه بعد أن تمكن بنوا أمية من السلطة وركله برجله وقال: يا أبا عمارة إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به.[٢]

وكانت هي المشكلة التي فيها استشهد حمزة بن عبدالمطلب، ماذا نظن أنَّ مشكلة حمزة مع بني أمية في واقعة أحد؟ هل كانت الحرب إلا حرباً بين الإسلام والكفر، بين الضلال والهدى، بين رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وبين أبو سفيان الذين كان قائداً للكفر والكافرين، والشرك والمشركين.

عندما ذهب وهو يحمل عقدة الانتقام، عندما قال يخاطب بني أمية بعد أن وصلوا إلى السلطة: (يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار وما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة...

[وصل] هذا القول إلى المهاجرين والأنصار وغير ذلك الكلام فقام عمار في المسجد فقال: يا معشر قريش، أما إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل

---

(١) المحاضرة الأولى بذكرى عاشوراء الثامن من محرم ١٤٤١هـ.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٥١.

بيت نبيكم هاهنا مرة وهنا مرة فما أنا بآمِنٍ من أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله.

وقام المقداد فقال: ما رأيت مثل ما أودى به أهل هذا البيت بعد نبيهم، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو؟ فقال: إني واللّه لأحبهم لحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إياهم، وإن الحق معهم وفيهم، يا عبد الرحمن أعجب من قريش - وإنما تطوُّلُهم على الناس بفضل أهل هذا البيت - قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعده من أيديهم أما ولإيم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي عليه الصلاة والسلام يوم بدر).[1]

وحينما نشبت اظفار معاوية بالملك اتضح عداؤه السافر للإسلام والمسلمين، وقد برز ذلك في أقواله وأعماله واتجاهاته فقد خطب في النخيلة وكانت نشوة الظفر عليه بادية فقال:

(يا أهل العراق، والله إني ما قاتلتكم لتُصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون).[2]

هذه العقدة الانتقامية التي عبَّر عنها يزيد في قوله:

لست من خِنْدَفَ إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

(١) مروج الذهب ج ١ ص ٣١٠.
(٢) مقاتل الطالبيين ج ١ ص ٣٧.

التي عبَّر عنها وهو يتمثل بقول الشاعر:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلُّوا واستهلُّوا فرحاً ولقالوا يا يزيد لا تُشل[١]

تلك العقدة التي عبَّر عنها الكثير منهم هنا وهناك، العقدة من الرسول، العقدة من الإسلام، تلك العقدة التي عبَّر عنها معاوية وهو منزعج وهو يسمع المؤذن يقول: أشهد أنَّ محمداً رسول الله. فيقول: (أما رضي ابن أبي كبشة حتى يذكر اسمه في اليوم والليلة خمس مرات).[٢]

في قصة رواها الزبير بن بكار في الموفقيات، عن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال: دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا فقلت: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سناً يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فو الله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه؟ فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه؟ ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر.

(١) تاريخ الطبري ج٨ ص ١٨٧.

(٢) المحاضرة الأولى بذكرى عاشوراء الثامن من محرم ١٤٤١هـ.

ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر.

وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمداً رسول الله) فأي عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا، لا أبا لك؟ لا والله إلا دفناً دفناً.(١) .

تلك العقدة التي عبَّروا عنها في كثيرٍ من أقاويلهم وتصرفاتهم، عندما قال قائلهم:

تلعَّب بالبرية هاشميٌّ بلا وحيٍ أتاه ولا كتاب

عندما قال يزيد نفسه:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

بنو أمية والإمام علي عليه السلام

عقدة الكفر، عقدة الحقد، عقدة الانتقام، ثم ماذا فعلوا؟ اتجهوا لمحاربة الإمام عليٍ (عليه السلام) من البداية محاربةً شرسة، والأمة تعرف من هو عليٌّ فيما يمثِّله من الامتداد لرسالة هذا الإسلام، عليٌّ الذي قال عنه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنَّه لا نبي بعدي»**.

اتجهوا للحرب ضد الإمام عليٍّ (عليه السلام)، فكانوا هم الفئة الباغية التي حذَّر منها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يوم قال عن عمَّار: تقتلك

(١) شرح ابن أبي الحديد١٢٩/ ٥ ـ ١٣٠ عن الموفقيات للزبير بن بكار.

الفئة الباغية، لماذا؟ تدعوهم إلى الجنة، ويدعونك إلى النار.[١]

كانوا هم الفئة الباغية الداعية إلى النار، ماذا معنى تدعو إلى النار؟ الباطل الذي يقدِّمونه، المفاهيم الخاطئة، المواقف الباطلة، السلوكيات الإجرامية التي هم متَّصفون بها، ويتحرَّكون بها، ويتحرَّكون بالناس الذين يغرونهم، ويضلونهم، ويؤثِّرون عليهم، ويسيطرون عليهم بها ومن خلالها.

دعاةٌ إلى النار، هل تكون الدعوة إلى النار إلا انحرافاً حقيقياً عن منهج الإسلام العظيم؟ هل يمكن أن يكون هناك التزام بهذا الإسلام في مبادئه، التزام بهذا الإسلام في منهجه، التزام بهذا الإسلام في برنامجه، ثم تكون الدعوة دعوةً إلى النار؟ والأمة تروي كل ذلك، ليس فقط في كتب الشيعة وفي تراث الشيعة، الأمة بكلها بمختلف مذاهبها تروي حديث الفئة الباغية، الداعية إلى النار.[٢]

يروي المؤرخون بأن أول عمل قام به معاوية بعد أخذه كرسي الخلافة أمره بسب أمير المؤمنين علي عليه السلام على منابر المسلمين.

(١) صحيح مسلم ج١٤ ص١٣٠ فتح الباري ج ٢ ص ١٧٨ الترمذي ج١٢ص ٢٧٧.
(٢) المحاضرة الأولى بذكرى عاشوراء الثامن من محرم ١٤٤١هـ

وكنموذج لذلك ما روي أن معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه قال له: أردت إيصاءك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطانك ويصلح به رعيتي، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة، لا تتحم ! (أي لا تتجنب) عن شتم علي وذمّه...

فأقام المغيرة على الكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهراً وهو من أحسن شيء سيرة وأشده حباً للعافية، غير أنه لا يدع ذم علي والوقوع فيه.[1]

وروى المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته .

وكتب اليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا إليَّ بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعث اليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١٣٢، الكامل في التاريخ ٣ : ٤١٣ . شرح نهج البلاغة ٤ : ٦٩.

ثم كتب إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة فإن هذا أحب إليَّ، وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها.

وجدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، بل علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله. فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة.

وكان أعظم الناس في ذلك القراء المراؤون الذين يظهرون الخشوع والنسك ويفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث الى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها.[1]

(١) شرح ابن ابي الحديد ١٥/ ٣ـ ١٦.

وقد ورث معاوية عن أبيه قسوته وكيده ودهاءه، ولم تكن أم معاوية بأقل من أبيه تنكراً للإسلام وبغضاً لأهله وحفيظة عليهم، وهم قد وتروها يوم بدر فثأر لها المشركون يوم أحد، ولكن ضغنها لم يهدأ وحفيظتها لم تسكن، حتى فتحت مكة فأسلمت كارهة كما أسلم زوجها كارها وكما أسلم كذلك ابنها معاوية بعد إسلام أبيه كارها.

و(هِند) هذه هي التي أغرت وحشياً بحمزة عم النبي حتى قتله ثم أعتقته، ولما قتل حمزة بقرت بطنه، ولاكت كبده، وفعلت فعلاتها بجثته!

قال أبو جعفر الاسكافي: إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه.

وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير [١].

بنوا أمية كانوا وراء قتل الإمام علي عليه السلام

ثم كانوا من تآمر على الإمام علي (عليه السلام) حتى في قتله اغتيالاً عن طريق ابن ملجم، وكانوا هم من حرَّكوا الخوارج، ولعبوا بهم، وكانوا يؤثِّرون فيهم بأساليب ووسائل مخادعة، وطرق معينة.

(١) شرح ابن ابي الحديد ج٤ / ص ٦٣.

وكانـوا هم من قتلـوا المئات من خيـرة أصحاب رسـول الله (صلوات الله عليـه وعلى آله)، وفي مقدِّمتهم المؤمـن العظيم، والصحابي الجليل عمَّار بن ياسـر، عمَّار الذي عبَّر الرسـول (صلوات الله عليه وعلى آله) عن أنه مُلئ إيماناً، هـذا عمَّار المؤمن العظيم، هذا المجاهد العظيم، هذا الصحابي الجليل مَن الـذي قتله؟ هم أولئك الفئة الباغية، وكان قتلهم له من أكبر دلائل بغيهم، وخروجهـم علـى الإمام علـي، محاربتهم للإمـام علي هي مؤشـرٌ كافٍ، ودلالة واضحة وفاضحة على بغيهم.

لكـن جعلت - إضافةً إلى ذلك - هنـاك علامات أخرى إضافية، منها قتلهم لعمَّار الذي أخبر الرسـول أنها سـتقتله الفئة الباغيـة، مع عمار قتلوا العدد الكبير (المئات من الصحابة) هم من اسـتأصلوا كل من شـهد واقعة بدر مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من صحابة رسول الله، وكان من ضمن التوجيهات والأوامر التي أمر بها يزيد في هجوم جيشـه على مدينة رسـول الله: أن يسـتأصلوا وأن يقتلوا كل من بقي من أصحاب بدر، واقعة بدر الكبرى، وغزوة بدر في الجهاد مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

هل هذه إلَّا عقدة من الإسلام، وثأر وانتقام من رسول الله، وانتقام من المسلمين، من المؤمنين، من المجاهدين، من الصحابة الأخيار؟

وكانوا هم الذين قتلوا في صفين المئات من أصحاب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، من المهاجرين والأنصار، وكانوا هم من سفكوا دماء هذه الأمة على نحوٍ رهيب في أقطار شتى، في العراق وفي غير العراق، في اليمن.

كانوا هم من انتهكوا حرمة المقدَّسات الإسلامية، فلم يعترفوا ولم يقدِّروا حرمة وقدسية الكعبة المشرَّفة، فهاجموها، ضربوا عليها بالمنجنيق، أحرقوها بالنيران، الكعبة بكل قداستها، بكل حرمتها انتهكوا هذه الحرمة، ولم يقدِّروا هذه القدسية.

كانوا هم من هاجم المدينة المنوَّرة، وكانوا هم من قتلوا الآلاف من أبناء وسكان هذه المدينة، وقتلوا الكثير منهم، قتلوا العشرات على قبر رسول الله (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله) حتى أغرقوه بالدماء.(١)

كانوا هم الذين قتلوا عترة رسول الله (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله) وارتكبوا الجريمة البشعة في كربلاء يوم عاشوراء، وفعلوا ما فعلوا في تلك المجزرة الرهيبة والفاجعة الكبيرة، كل ما يعبِّر عن الوحشية، والإجرام، والإفلاس الإنساني والأخلاقي كان حاضراً في سلوكياتهم وممارساتهم.

هم الذين ارتكبوا أبشع الجرائم بحق هذه الأمة في كل سلوكياتهم: السياسة المالية، الاستئثار بالمال العام، والنهب له، والتوظيف والاستغلال له في الترف وفي شراء الذمم، فنهبوا ثروة الأمة، واستأثروا بالفيء، واتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا.

وهم من اتجهوا إلى تحريف المفاهيم، وما فعلوه في ذلك هو جناية كبيرة جداً على الأمة، لقد عملوا على تغيير مفاهيم هذا الدين، هم من شكَّلوا لجاناً واصطنعوا البعض من علماء السوء بالمال (بمئات الآلاف من

(١) انظر الكامل في التاريخ ج٢ ص ١٨٩ تاريخ دمشق ج١٤ ص٣٨٥.

الدراهم الفضية، والآلاف من الدنانير الذهبية)؛ لاختلاق أحاديث مفتراة ومكذوبة على رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله).

وكانوا يدفعون ثمناً لبعض الأحاديث ثلاثمائة ألف درهم مقابل حديث يُفترى على رسول الله يتضمن مفهوماً باطلاً ومضلاً خطيراً على هذه الأمة؛ فيقدَّم ليحسب على الإسلام، وتحرَّكوا من موقع النفاق لتحريف مفاهيم هذا الدين، وهذا كان أكبر خطر على هذه الأمة، خطر كبير جداً، وكم هي المفاهيم التي غيَّروها وتحسب على الإسلام وليست هي من الإسلام، وقدَّموها باسم حديث مختلق ومفترى على رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله)، أو باسم معنىً مزيف لنصٍ قرآني، أو باسم فتوى من الفتاوى الدينية، أو ضمن كتب تكتب، كم فعلوا وكم صنعوا من ذلك؟ الشيء الكثير والكثير.[1]

من ذلك ما روى الزهري أن عروة بن الزبير حدثه، قال حدثتني عائشة قالت: (كنت عند رسول الله (صلى اللّه عليه وآله وسلم) إذ أقبل العباس وعلي فقال: **«يا عائشة: إن هذين - يشير إلى علي والعباس - يموتان على غير ملتي»**، أو قال: **« على غير ديني»** .

وبذل معاوية لسمرة بن جندب أربعمائة ألف درهم فصعد على المنبر وتلا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِيْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّه عَلَى مَا فِيْ قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامَ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِيْ

(١) المحاضرة الأولى بذكرى عاشوراء الثامن من محرم ١٤٤١هـ.

الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيْهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ وقال: أشهد أني سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول أنها نزلت في علي بن أبي طالب.[1] وأما عمرو بن العاص، فروى عنه الحديث الذى أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما مسندا متصلا بعمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء إنما وليى الله وصالح المؤمنين».

الأعراض في شرع بني أمية

وهم من انتهكوا الحرمة للنساء المسلمات، فارتكبوا جرائم الاغتصاب عند اقتحام جيشهم لمدينة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) استباحوا عرض النساء المسلمات، واغتصبوا المئات من النساء، حتى المئات من الابكار، دعك من الثيبات، من الأبكار اللواتي حملن بعد تلك الواقعة نتيجةً لجريمة الاغتصاب، وهم الذين سبوا نساء أهل اليمن في عصر الإسلام وباعوهن بعد سبيهن في الأسواق، بعد جريمة بُسر وحملته - بأمرٍ من معاوية- على اليمن، فارتكب أبشع الجرائم في اليمن.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كثيراً ما حذَّر منهم ومن خطورتهم على الأمة، حتى أنَّه أوصى الأنصار بوصية، لكنهم لم ينفِّذوها، حين قال لهم: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، إلَّا تفعلوا ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ

(١) شرح النهج ٤/ ٦٤.

فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: من الآية٧٣]»[١] ويوم قدم معاوية إلى المدينة وصعد على منبر رسول الله، تذكَّر بعضهم هذه الوصية، وذكَّر البعض بها، لكنهم كانوا قد وصلوا إلى حالةٍ من الواقع السلبي والتأثر به؛ فلم ينفِّذوا هذه الوصية.[٢]

نظرة رسول الله للمستقبل بتنوير الله ورعايته

من الأشياء المهمة التي ينبغي الالتفاتة إليها: أنَّ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يفكر في مستقبل الأمة؛ فهو بالتالي هو نبي الأمة إلى يوم القيامة، هو رحمةٌ للعالمين، وعبر ما تبقى من أجيال، وعبر ما بقي من فترة البشرية، يعني: لم يكن نبي عصره فحسب، ولا رسول زمنه فقط، هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للبشرية، وإلى البشرية كافة، للناس كافة بشيرًا ونذيرًا منذ عصره وإلى قيام الساعة؛ وبالتالي نظرته إلى المستقبل هي نظرة مرتبطة- أيضًا- بطبيعة مسؤوليته ودوره، وبالتأكيد ذات صلة لما يأتيه من وحي الله ومن هدى الله (سبحانه وتعالى)، يعني: ليست نظرة شخصية، ولا ينطلق فيها من استشراف للمستقبل بدافع شخصي واهتمام شخصي، ومن واقع شخصي منفصل عن الوحي الإلهي. |الا|؛ لأن الله رب العالمين وأرحم الراحمين (جلَّ شأنه) هو لا يلحظ فقط- مثلًا- واقع البشر في عصر النبي فحسب. |الا|، إنَّ الله- الذي هو ربُّ العالمين- هو

(١) تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٨٦ تاريخ دمش ج ٥٦ ص ١٥٥.
(٢) المحاضرة الأولى بذكرى عاشوراء الثامن من محرم ١٤٤١هـ.

(جلَّ شأنه) سيشمل برعايته، ويشمل برحمته البشرية كلها إلى قيام الساعة، بحيث يتيح لهم فرصة الخلاص، ويتيح لهم ويهيئ لهم فرصة النجاة، بمعنى: أنَّ الله (سبحانه وتعالى) لا تأتي رحمته مرتبطة بزمن معين، ورسول الله رحمة الله للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: الآية١٠٧]، هذه الرحمة للعالمين ليست مزمنةً لثلاثة وعشرين عامًا في عهد النبي محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن بعد ذلك تقفل هذه الرحمة، وتنتهي هذه الرحمة. |الا|، رحمة تمتد إلى قيام الساعة، ما بقي للبشرية باقية، وما دام التكليف قائمًا في هذا الواقع في الحياة، ولكن هذه الرحمة لها امتداداتها، التي سنأتي إلى الحديث عنها، امتدادها كمشروع يمتد، تضمَّنه القرآن الكريم، وامتدادها من موقع القدوة والقيادة، بمثل ما سبق لنا في الحديث عن الإمام علي (عليه السلام) وعن الإمام الحسن، وعن الإمام الحسين، وعن أهل البيت (عليهم السلام) وعن الصالحين والأخيار من أبناء الأمة.

فهذا الامتداد الذي هو امتداد لخط الهداية، للمشروع الإلهي، لبرنامج الإسلام المقدم للأمة، فيه ما يزوِّد هذه الأمة بالرؤية التي تبني عليها حياتها، وفيه ما يقدِّم لها التربية اللازمة التي تصلحها؛ لتكون بمستوى النهوض بمسؤوليتها، الإسلام مشروع عظيم، فيه تربية وفيه تعليم، فيه حكمة وفيه رشد، وفيه ما يساعد على الاستقامة على المستوى السلوكي والعملي، وفيه برنامج متكامل للحياة في كل اتجاهاتها، ليس فقط مجرد طقوس لا نعثر على هذا الإسلام إلَّا من خلالها، نعيش الإسلام في جوها

فحسب في داخل المساجد، وانتهى كل شيء. |الا|، برنامج متكامل، وهذا البرنامج يتجه إلى الإنسان فيصلحه، يزكيه.

جانب التزكية جانب أساسي جدًّا في القرآن الكريم، آيات كثيرة تتحدث عن هذا الموضوع، وقُدِّم كمهمة رئيسية في حركة رسول الله، وللقرآن نفسه: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾[البقرة: من الآية ١٢٩]، بهذا التعبير القرآني وهو يعدد المهام الرئيسية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، تجد كذلك في حركة الأنبياء السابقين، تجد في النصوص القرآنية المتعددة تركيز على موضوع التزكية، ومسار حياة الإنسان في فلاحه يتوقف على هذا الجانب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[الشمس: ٩-١٠]، النفس البشرية فلاحها متوقف على مسألة التزكية؛ لكي تبقى الأمة مرتبطة بهذا المشروع في كل جوانبه: فيما يقدِّمه كرؤية، فيما يقدِّمه كتشريعات، فيما يقدِّمه من: (بصائر، وتوعية، ونور، وهداية شاملة)، فيما يقدِّمه- أيضًا- من تربية لهذا الإنسان، وتزكية لهذا الإنسان، يجب أن تبقى الأمة مرتبطة بهذا المشروع من واقع حياتها، لا تنفصل بشؤون حياتها في اتجاه، وتترك هذا المشروع بكله هناك في اتجاهٍ آخر؛ وإلَّا ابتعدت عنه تلقائيًا، وخسرت الارتباط به، وما يترتب على هذا الارتباط من: آثار إيجابية، ومن نتائج عظيمة في واقع الحياة، ومن استقامة في واقع الحياة.

الخطر الذي شكله بنو أمية على الأمة بعد وصولهم السلطة

الـذي عملـه بنو أميَّة منـذ وصولهم إلى موقع السـلطة والقـرار، وهذا أخطـر موقـع يمكن أن يؤثِّر سـلبًا علـى الأمة، عندما يصل إليـه أمثال بني أميـة، عندمـا يصل إليه جائـرون، ظالمون، مفسـدون، الموقـع الأهم الذي ينبغي أن تدار شؤون الأمة من خلاله، بناءً على منهجها، على شرعها، على تلك المبادئ، على أسـاس تلك المبادئ والقيم والتشـريعات والتوجيهات الإلهية. بنو أميَّة عندما وصلوا إلى هذا الموقع كان هذا يمثِّل خطورة كبيرة جدًّا على الأمة.

الرسـول (صلـواتَ الله عليه وعلى آله) وبالنظرة المستشـرفة للمسـتقبل على أسـاسٍ من الوحي الإلهي، كان يستشعر هذه الخطورة على مستقبل أمته، ونبَّه عليها، وحذَّر من هذا، وهذا تمام الحجة، الرسول (صلواتَ الله عليه وعلى آله) يؤدِّي هذا الدور من موقعه كنذير؛ لأنَّه منذر ومبشر، وإنذاره ليس فقط إنذارًا من العذاب بالنار فحسب، هذا جانب رئيسي في إنذاره، ولكنه ينذر تجاه المخاطر الكبرى المحيطة بالبشـرية بشـكلٍ عـام، وأيضًا المخاطر التي ستواجهها أمته.

ولهـذا أبـرز الأخطار التـي يمكن أن تواجهها الأمة سـبق لـه (صلى الله عليـه وآله وسـلم) أن حذَّر منهـا، أن أنذر منها، ضمن وظيفتـه كمنذر، ضمن مهامـه الرسـالية، والتـي منها أنَّه النذيـر المبين، وخطر بمسـتوى خطر بني أميَّة، وتهديد للأمة بمسـتوى ذلك التهديد، لن يغيب عن اهتمام رسول الله (صلواتَ الله عليه وعلى آله) وعما يزوِّده الله به، والله هو عالم الغيب والشـهادة،

والعليم بمستقبل الأمة؛ فلذلك علَّم نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بأبرز الأخطار والمحطات الفاصلة والمصيرية التي يمكن أن تواجهها الأمة، وأتى منه بشأنها هداية، منها نصوص في القرآن الكريم، ومنها- كذلك- نصوص نقلتها الأمة، وتوارثتها الأمة، وبقيت في أوساط الأمة، حتى بالرغم من حساسيتها، يعني: بعض النصوص حسَّاسة للغاية، ومحاربة جدًّا، وبُذلت جهود كبيرة في سبيل التخلص منها؛ حتى لا تبقى متوارثةً في أوساط الأمة، أو تنقل عبر أي جيل، ونُقِلت كثير من النصوص المهمة، يُنقل الإنذار مثلًا، ويُنقل- في مقابله- ما يمثِّل خلاصًا منه: (المشكلة، والحل)، الرسول نبّه الأمة إلى المشاكل - عبَّر عنها، وضَّحها، كشفها، بيَّنها - التي يمكن أن تعترض هذه الأمة في مسيرتها في الإسلام، ومسيرتها في الحياة، وكذلك الحلول اللازمة، والوسائل التي قد تكفل لها الوقاية من كثير من هذه المشاكل.

فتنة بني أمية في النص القرآني

ورد في القرآن الكريم قول الله (سبحانه وتعالى): ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[الإسراء: من الآية ٦٠]، هذه الآية تتحدث عن مسألتين:

المسألة الأولى: رؤيا أراها الله لنبيه في المنام، وهذه الرؤية تضمنت الكشف لفتنة خطيرة مقبلة على الناس، وتشير الآية القرآنية إليها: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.

المسألة الثانية: في الفقرة الثانية من الآية المباركة نفسها: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، يعني: في نفس السياق الشجرة هذه فتنة، (الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ)، كذلك (فِتْنَةً لِّلنَّاسِ)، فما هي هذه الرؤيا؟ وما هي هذه الشجرة؟ هل هي من النباتات البرية، وأصبحت شجرة خطيرة جدًّا على البشرية وعلى الناس؛ فأتى التحذير من القرآن حتى لا يأكل أحد من هذه الشجرة، أو من ثمارها، أو من غصونها؟

ورد في الأخبار والروايات أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) رأى في منامه رؤيا ملفتة جدًّا: رأى بني أميَّة وهم ينزون على منبره نزو القردة، يصدون الناس عنه، وكان المشهد مشهدًا رهيبًا، وفظيعًا لهم وهم يصعدون إلى منبره – منبره فيما يعبِّر عنه كمصدر هداية– ويتحركون بنفس الحركة التي تتحرك بها القردة، ويصدون الناس عنه، عن نهجه، عن مشروعه، كمصدر هداية، والشجرة هذه التي قال الله عنها: ﴿الْمَلْعُونَةَ﴾، هل الله (سبحانه وتعالى) يلعن الأشجار مثلما يفعل البعض إذا استاء من شيء لعنه، لو كان حجرًا أو شجرًا أو أي شيءٍ آخر؟ |لا|. الله هو الحكيم.

كذلك ورد في الأخبار والروايات أنَّ هذه الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو أميَّة.[1]

وهناك الحالة الاستثنائية في بني أمية لشخصية واحدة مختلفة بالنسبة لأمرائهم طبعًا، كان عمر بن عبد العزيز هو الشخصية الاستثنائية فيما بينهم

(١) تأريخ الخطيب ٩ / ٤٤، تفسير الطبري ٥ / ٧٧، اسد الغابة ٣ / ١٤.

في سلوكه ومواقفه، بقية أمراء بني أميَّة منذ أول أمير منهم إلى آخر أمير كان اتجاههم سلبيًا في هذه الحياة.

فهذا أولًا على مستوى النص القرآني في الرؤيا التي رآها النبي، ويقال في الروايات والأخبار: أنَّ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لم يُرَ ضاحكًا بعد هذه الرؤيا، بات بقية أيام حياته حزينًا على مستقبل الأمة، وغير غريب عليه هذا، عندما نتأمل في النصوص القرآنية أنَّ الله يقول عنه في أسفه على قومه لماذا لا يؤمنون: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾[الكهف: من الآية٦]، (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ): يعني تكاد أن تهلك نفسك من الغم أسفًا عليهم كيف لا يهتدون بهذا الهدى، الذي فيه فلاحهم وخيرهم في الدنيا والآخرة، غير غريب عليه أن يبقى حزينًا بعد ما رأى هذه الرؤيا التي عبَّرت وكشفت عن الواقع المحزن، وعن هذا الدور التخريبي الخطير لأولئك في مستقبل الأمة. فرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في الروايات لم يُرَ ضاحكًا بعد هذه الرؤيا، وبقي حزينًا إلى وفاته، لم يضحك بعد هذه الرؤيا فيما ورد.[1]

***

(١) المحاضرة الثامن للهجرة لعام ١٤٤٠هـ.

بنو أمية وخطورتهم على الاسلام وعلى الأمة

عندما نأتي إلى التاريخ، عندما نعود إلى ما روته الأمة بمختلف مذاهبها في تراثها، في أصح ما لديها بحسب كل مذهبٍ وتيار من مذاهب وتيارات الأمة المختلفة، نجد ما أُثِر عن رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله) مما هو معروفٌ بين الأمة بشكلٍ عام فيما يحذِّر به من فتنة أولئك على هذه الأمة، من خطورتهم الكبيرة التي لا يجوز التقليل منها، ولا التبرير لها، ولا التجاهل لها؛ لأن ضررها بالفعل حدث في واقع هذه الأمة.

النصوص النبوية تكشف مستقبل الأمة في ظل استحكام قبضة بني أمية

هناك عددٌ من النصوص مثل حديث الرسول (صلواتُ الله عليه وعلى آله) عنهم أنهم إن تمكَّنوا ووصلوا إلى موقع السلطة والقرار، فإنهم سيجنون على هذه الأمة جنايةً كبيرة، لماذا؟ لأنهم كما قال عنهم إذا تمكَّنوا (اتخذوا دين الله دغلاً)،[1]

على مستوى النصوص عن رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله) هناك جملة من النصوص المروية، ليست فقط- مثلًا- مروية عند الشيعة. |الا|، هي مروية في تراث الأمة بمختلف مذاهبها وفرقها، في مصادر معتبرة لديها، مصادر لدى كل مذهب معتبرة، ومحترمة، ويعتمد عليها، جملة من النصوص التي كشفت عن هذ الدور التخريبي، نكتفي هنا بنص

(١) من محاضرة السيد عبد الملك حفظه الله بتاريخ ٩محرم ١٤٤١هـ

رئيس حتى نتحدث على ضوئه، وإلَّا هناك جملة من النصوص، سواءً عن أشخاص معينين من بني أميَّة، أو بشكلٍ عام، أحد النصوص تحدث عنهم، أنَّهم: «إذا بلغوا أربعين رجلًا اتَّخَذُوا دِينَ اللهِ دَغَلًا، وَعِبَادَهُ خَوَلًا، وَمَالَهُ دُوَلًا»[1].

طبعًا اخترنا هذا النص؛ لأنه نص جامع، وعبَّر- بشكلٍ واضح- عن طبيعة هذا الدور التخريبي، ومسارات هذا الدور التخريبي، وطبعًا هم وصلوا إلى السلطة واستحكم دورهم عندما بلغوا إلى هذا العدد، ويعتبر هذا النص من معجزات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) التي تضمنت - فيما تضمنته- حديثًا عن المستقبل، واستشرافًا بالوحي الإلهي للمستقبل، وكان ذلك متطابقًا.

«اتَّخَذُوا دِينَ اللهِ دَغَلًا، وَعِبَادَهُ خَوَلًا، وَمَالَهُ دُوَلًا»، وهذا كان هو مسارهم، هذا هو ما فعلوه بالضبط في واقع هذه الأمة، اتجهوا إلى الأمة من واقع ما وصلوا إليه من سيطرة ونفوذ من موقعهم في السلطة، وكانت هذه سياستهم.

«اتخذوا دين الله دغلا»

أول جناية جنوها على الأمة، وأكبر جناية وأخطر جناية كانت: هي في دينها، الدين هو الذي به صلاح الأمة، وإذا استقامت الأمة على دينها

(١) الحاكم في المستدرك (ج٤ ص ٤٧٤) المعجم الأوسط للطبراني (ج ١٧ ص ٨٦) البداية والنهاية (ج٦ ص٢٧١).

صلح لها كل شيء، وصلح في واقعها كل شيء، الدين هو الأساس، فإذا تغيَّرت مفاهيم محسوبة على هذا الدين، وحُرِّفت مفاهيم محسوبة على هذا الدين، وأصبح الناس يتدينون بتلك المفاهيم المحرفة، والمفاهيم الخاطئة، والمفاهيم التي تم انتاجها لتكون محسوبة على الدين وما هي من الدين، ويتدين الناس بها تدينًا؛ تصبح هذه مشكلة خطيرة جدًّا جدًّا على الأمة، وبدلًا من أن يكون الدين مصدر خيرٍ وصلاحٍ وفلاح وإصلاح لها، تتحول تلك المفاهيم- المحسوبة عليه- مصدر إفساد للأمة، وهذا هو الدَّغَل: يعني الإفساد، وهذا ما عمله بنو أميَّة: هم شاهدوا أنَّ الأمة مرتبطة بالدين.

بنو أميَّة كان لهم تجربة في محاربة الإسلام والرسول لمدة عشرين سنة، منذ بعثة الرسول بالرسالة حاربوه في مكة بالإعلام، والدعاية، والتعذيب للمسلمين... ووسائل كثيرة، وحاربوه بعد الهجرة النبوية لثمان سنوات حربًا عسكرية، إضافة إلى بقية الوسائل.

فتجربتهم لحربهم مع الإسلام لعشرين عامًا: أنَّ هذا الإسلام تَقَوَّى وانتشر وتمسكت به الأمة، وأنَّهم عاجزون- نهائيًا- عن فصل الأمة الفصل الكلي عن هذا الإسلام؛ فاتجهوا- في النهاية- بعد فتح مكة، بعد أن أُرغِموا على الدخول في هذا الإسلام، نتيجةً للتحولات من حولهم، ونتيجةً لوصولهم إلى حالة الاستسلام والعجز التام عن محاربة هذا الدين، دخلوا فيه بغير رغبة، التاريخ ينقل لنا كلمة: [وفي النفس منها شيء]، عندما أُرغِم أبو سفيان على الشهادة بالشهادتين، فقيل له: [وأنَّ

محمدًا رسول الله]، قال في الأخير: [وأنَّ محمدًا رسول الله وفي النفس منها شيء].

عبارات أخرى معروفة في تاريخهم، لرموز بارزة منهم، تُعبِّر عن الكفر الذي استسره البعض منهم، وبقي كامنًا في أنفسهم يعبِّرون عنه بين الحين والآخر.

الأمويون ومساراتهم في تحريف مفاهيم الدين

فاتخاذهم لدين الله دَغَلًا: هو أنَّهم يئسوا من فصل الناس عن هذا الدين بشكلٍ تام؛ فدخلوا بمدخل آخر، واشتغلوا بطريقة أخرى، مختلفة عن حربهم المباشرة ضد الإسلام وضد الرسول، إلى حرب بطريقة مختلفة، وباتجاهٍ آخر.

كيف يتم اتخاذ دين الله دَغَلًا؟ كيف يتم تحويل الانتماء إلى هذا الدين، والاستفادة من هذا الدين إلى حالة تساهم في إفساد الأمة والتأثير السلبي عليها، بدلًا من أن تكون حالة تُصلِح هذه الأمة؟ كما قلنا: المسألة تتجه إلى المفاهيم الدينية، وإلى التشريعات الدينية.

نأتي إلى الدين: الدين جملة مفاهيم وتشريعات، مفاهيم وعقائد ومبادئ وتشريعات: هذا حلال، هذا حرام، هذه المسألة كذا، هذه العقيدة كذا، هذا المبدأ كذا... فمفردة مفاهيم تعبِّر- بالإجمال- عن هذه المبادئ، والتشريعات، والتوجيهات... ونحوها.

فعمدوا إلى التحريف بوسائل متعددة، واستغلوا البعض من علماء السوء ومن رواة الأكاذيب، الذين يختلقون ويفترون على الله وعلى رسوله الكذب، واعتمدوا عليهم.

مسارات التحريف التي سلكها بنو أمية

مسار من مساراتهم كان: إنتاج مفاهيم باطلة من الأساس، وتُحسَب على الدين: مثلًا: يكلِّفون البعض لأن يصنع رواية وحديثًا مكذوبًا بالكامل، حديثًا لا أساس له من الصحة، يقول: (حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله أنه قال: كذا وكذا وكذا)، ويكون هذا بالافتراء التام، يعني: لا أساس لذلك.

وطبعًا هذا كان يحصل حتى في عصر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن بعد عصره، مشهور في السير والتواريخ والحديث أنَّه: كثر الكذب على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في أيام حياته؛ حتى انزعج جدًّا، وخطب الناس على المنبر، وقال كلمته الشهيرة: **«مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوأ مَقعَدَهُ مِن النَّار»**[1].

بعد أن كثر الكذب عليه حتى انزعج، واستدعى الأمر إلى خطاب عام، يصعد إلى المنبر ويتحدث بهذا الكلام، واستمرت هذه الأكاذيب على رسول الله والافتراء عليه، والافتراء على رسول الله هو افتراء على الله، وهو كذب على الله (سبحانه وتعالى) أي تزوير في الدين هو يعتبر افتراء

(١) مسند الإمام (زيد ج١ ص٣) البخاري ج ٥ ص ٣٧.

على الله؛ لأن الدين محسوب على مَنْ؟ على أنَّه دين الله، وبالتالي أي تزوير فيه يحسب من الافتراء على الله الكذب، هذا المسار اشتغلوا عليه، وهو مسار خطير جدًّا.

المسار الآخر: تحريف لمفاهيم نصوص صحيحة: النص صحيح، ولكن يقدِّمون للنص مفهومًا آخر، معنىً آخر، تفسيرًا آخر، فيما يتطابق مع هوى أنفسهم، وهذا اشتغلوا عليه بشكل نشط وواسع جدًّا، وشغَّلوا كثيرًا ممن هم باسم علماء من علماء السوء، ومن الرواة، ومن القصاصين، وممن نسميهم في زمننا هذا بالمثقفين، شخصيات وفئات شغَّلوها بشكل كبير، والمعلمين، و...الخ. شغَّلوا فئات واسعة؛ تلقت على هذا- آنذاك- معاشات ومرتبات، واشتغلت، ومكافئات أحيانًا، البعض كان يروي حديثًا مكذوبًا على رسول الله، ويصنعه بمبلغ كذا وكذا، وهناك قصص كثيرة في التاريخ، لا يتسع الوقت للتطرق إليها، وليس المقام للتطرق إلى تلك التفاصيل.

أبشع أنواع الظلم والتضليل

حينما نأتي إلى القرآن الكريم، نجد أنَّ هذه المسألة خطيرة للغاية، خطيرة جدًّا، وتعتبر من أبشع أنواع الظلم، ومن أخطر أنواع الظلم: الظلم الثقافي، وهو يؤسس للظلم بكل أشكاله: للظلم بشكله العسكري، بشكله الأمني، بشكله الاقتصادي... في كل أشكاله الأخرى، أكبر ظلم وأول ظلم عندما تظلم الأمة في المفاهيم المحسوبة على الدين، عندما تُضلل الأمة.

التضليل أكبر حالة خطيرة تُظلم بها الأمة؛ ولهذا نجد أنَّ الله يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً﴾، يعني: لا أظلم، هذه النوعية من الناس المفترين على الله الكذب هم في قائمة أظلم الناس للناس، هم في هذه القائمة.

هناك فئات متعددة هي الأظلم، يأتي القرآن يعبِّر عنها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، بمثل ما نجده في هذه الآية المباركة، كل من قال عنهم القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾هم في الصف الأول من الظالمين للبشرية، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: الآية١٨].

يتضح لنا من هذا النص القرآني مدى خطورة هذا النوع من الظلم الذي مصدره علماء السوء، ومصدره- من نسميهم في هذا العصر- بعض المثقفين، الرواة، القصاصين، المعلمين... الذين يشتغلون على تقديم الدين إلى الناس، الذين يشتغلون في الخطاب الديني، الذين يشتغلون في التعليم الديني، الذين يشتغلون في تأليف الكتب التي تحتوي معارف باسم أنها معارف من الدين، هذه الفئة من الناس منهم من يشتغل على هذا النحو: يظلم الناس، وأيَّما ظلم!

الذي ينتج مفاهيم باطلة يمثِّل كتابه الذي كتبه أخطر من سجن يسجن الناس فيه بغير حق، وأخطر- أحيانًا- من معركة عسكرية مدمِّرة، المفاهيم خطيرة جدًّا، والظلم بها ظلم كبير جدًّا، يتضمن أولًا إساءة إلى الله (سبحانه

(وتعالى) الكذب على الله من حيث هو كذب على الله أمر بشع وفظيع، وجرأة كبيرة على الله (سبحانه وتعالى).

من يكذب على الله، يقول: [في دين الله كذا وكذا، هذا من الله، من دينه] يعني: من الله، وليس من الله هو يعبِّر عن علمه، عن حكمته، عن رحمته، عن عزته. فكل ما هو مكذوب هو يسيء إلى هذا كله: إما يسيء إلى عزة الله، أو يسيء إلى حكمة الله، أو يسيء إلى رحمة الله، أو يسيء إلى كل تلك التي تضمنتها أسماء الله الحسنى، يسيء إلى الله في كل شيء، في كل ما تفيده أسماؤه الحسنى، يسيء إلى: كمال الله، وجلاله، وعظمته، وألوهيته.

فأول مشكلة في الافتراء على الله من حيث الجرأة على الكذب على الله: ذنب فظيع وبشع، وقلة حياء من الله (سبحانه وتعالى) ومن حيث ما يتضمنه ذلك المفتري، ما قدم باسم الله ونُطِق به عن الله، زورًا على الله، وافتراءً على الله، مما فيه إساءة إلى الله (سبحانه وتعالى).

ثم ما يترتب على الأخذ به في واقع البشرية من نتائج سيئة، فكرة معينة، قاعدة معينة، أو فتوى معينة؛ يترتب عليها مواقف باطلة، البعض من الفتاوى الباطلة يترتب عليها مظالم كبيرة جدًّا: تسفك بها الدماء، تنتهك بها الأعراض، تنهب بها الأموال، البعض من الفتاوى، أو من المواقف، أو من العقائد فيها- أيضًا- إساءة إلى الله من جوانب متعددة، وسنأتي- أيضًا- لمزيد من التوضيح حول هذا الموضوع.

يقول الله (جلَّ شأنه): ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنعام: الآية١٤٤]، لاحظوا افتراء الكذب على الله ليكون وسيلة لإضلال الناس؛ لأن الكثير من الناس يتقبلون حينما تكون المسألة مسحوبة على الله، وعلى أنَّها من دينه، فيتقبلها هذا وذاك، والكثير من الناس البسطاء يتقبلون، يقول لك: [قال الله، قال رسول الله كذا كذا، ويتحدث دين الله هو كذا وكذا].

ويعبِّر عن هذا بأكاذيب وتحريف: إما تحريف للمفهوم، وإما إنتاج لمفهوم باطل من أساسه، لم يرد لا في كتاب الله، ولا عن رسول الله، كلا المسألتين خطيرة جدًّا، كلٌ منهما يمثِّل خطورة كبيرة على الناس، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءهُ﴾[الزمر: من الآية٣٢]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُ﴾[العنكبوت: من الآية٦٨].

المسألتان: مسألة الافتراء على الله كذبًا، أو التكذيب بالصدق، أو التكذيب بالحق، كلٌ منهما جريمة في مستوى واحد، وهذا يحصل للكثير من الناس: التكذيب بالحق، والتكذيب بالصدق، ﴿انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً﴾[النساء: الآية٥٠] إثم واضح وفظيع، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النحل: ١١٦-١١٧].

ما الذي ساعد على نجاح المفترين ؟

مثل هذه النصوص القرآنية يجب أن تصنع وعيًا كبيرًا وعاليًا في واقع الأمة تجاه خطورة هذه المسألة؛ لأنه- للأسف الشديد- مسائل في غاية الأهمية، وأحيانًا في منتهى الخطورة، ونظرة الناس إليها نظرة عادية، استبساط، هذا الاستبساط هو الذي يساعد على نجاح مثل هذه الأمور، نجاح كبير للمفترين الكذب على الله (سبحانه وتعالى).

فيما يأتي القرآن ليصنِّفهم في أنَّهم في مصاف وفي مستوى الأظلم: أظلم الناس للناس، وأظلم البشر للبشر، هذه الفئة من الناس- كما قلنا- هم مجموعة من علماء السوء، ومن يحذو حذوهم، توابعهم ولواحقهم من: مثقفين، وخطباء، ومرشدين، ممن يتجهون اتجاههم؛ لأن هناك العلماء الربانيين، وهناك- أيضًا- شخصيات في هذا الاتجاه تسير في الاتجاه السليم والصحيح، وهناك |لا|، من يتجهون هذا الاتجاه الذي هو اتجاه ظالم للناس، ظالم، وظلم خطير جدًّا، عليه هذا الوعيد الإلهي.

ولاحظوا: اليوم من المعروف في واقع الأمة لدى نخبها العلمائية، والثقافية، و...إلخ. من المعروف جدًّا أنَّ هناك نسبة كبيرة من المرويات المحسوبة على رسول الله، وهي مكذوبة، هذا أمر معترف به إجمالًا، إجمالًا معترف به بين الأمة بكلها.

هناك جملة كبيرة من المرويات المزورة والمكذوبة على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هناك نسبة كبيرة مما قدِّم إلى الأمة باسم تفسير لنصوص

قرآنية، أو تقديم لمفاهيم، أو عقائد، أو ثقافات، أو تشريعات، أو أحكام... إلخ. يصنَّف على أنَّه مفترى، على أنَّه باطل، على أنَّه غير صحيح، لا يعبِّر عن حقيقة الدين، وإنما قدِّم بطريقة خاطئة، ويمثِّل مشكلة كبيرة؛ لأن هناك من يأخذ به على أنَّه من الدين.

وشملت هذه المسألة الخطيرة كل المواضيع المهمة والرئيسية، ومختلف المواضيع، بدءًا من التحريف للعقائد، وردت عقائد مختلة بشكل كبير جدًّا، فُسِّرت لها نصوص قرآنية في غير محلها، وهذا شكل من أشكال التحريف: التفسير للقرآن بطريقة مغلوطة، وتقديم النص القرآني على غير مصاديقه، وكذلك أفتري فيها نصوص أخرى، وكُذِبَ على رسول الله فيها، وتضمنت هذه المشكلة الكبيرة جدًّا الإساءة إلى الله (سبحانه وتعالى).

ما يتعلق بمعرفة الله، وردت هناك عقائد فيها تشبيه لله بخلقه، فيها التجسيم، فيها كل أشكال الإساءة إلى الله (سبحانه وتعالى) يعني: الإساءة إلى قدسيته، إلى جلاله، إلى كماله... والمساس بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في هذا الجانب، أضف إلى ذلك وردت عقيدة الجَبر، وردت- كذلك- تفسيرات خاطئة لمفهوم القضاء والقدر، تفسيرات تضمنت إساءة فظيعة إلى الله (سبحانه وتعالى).

ثم نأتي إلى موضوع الأنبياء، إلى الكلام فيما يتعلق بالقرآن الكريم والكتب الإلهية، إلى الكلام عن مختلف المواضيع الرئيسية، كم وردت من روايات، ومن نصوص، ومن كتابات، ومن أقوال، من... إلخ. تسيء

إساءة كبيرة: إساءة إلى الله، إساءة إلى أنبيائه، إساءة إلى كتابه، إساءة إلى دينه في كل تفاصيله، أمر فظيع جدًّا.

وباتت الأمة متَّفقة على أنَّ هناك دسًّا كبيرًا في تراثها، في المرويات، وفي كثيرٍ من الأفكار والعقائد، يسمونه (بالإسرائيليات)، وصلت المسألة إلى هذا المستوى، يعني: دس من بني إسرائيل إلى روايات، إلى تفسيرات، إلى أقوال، إلى عقائد، إلى أفكار؛ تصبح- في نهاية المطاف- ضمن التراث الذي تعتمد عليه الأمة في مختلف مذاهبها، أو بعض مدارسها.

فإذًا: المسألة هذه مسألة خطيرة جدًّا، واشتغل عليها بنو أمية بشكل كبير، وحرَّفوا كثيرًا من المفاهيم، وقدَّموا مفاهيم بديلة على أنَّها تعبِّر عن الإسلام، وأخذ بها كثيرٌ من أبناء الأمة، وتربت عليها أجيال؛ فكانت للمسألة آثار سلبية ومدمِّرة جدًّا، وقدِّمت- حتى- تشريعات معينة باسم أنَّها من شرع الله، وهي تسوِّغ لهم ما يفعلونه في الناس، وتسوِّغ للناس أن يذعنوا لهم، بالرغم من كل ما يفعلونه، وأن يطيعوهم فيما هم عليه من: إفساد، وظلم، وجور، وطغيان، وإجرام.

من يكتمون الحق ساعدوا في انتشار الافتراءات

هناك جانب آخر- أيضًا- يمثِّل خطورة كبيرة جدًّا، ويصل في خطورته إلى مستوى مقارب لهذه المشكلة، وهو مشكلة الكتمان للحق وللهدى: هناك من يأتي ليشتغل بافتراءات- بحسب ما وضحناه- في اتجاه اختلاق لما يقدم كمحسوب على الإسلام وتحريف للمفاهيم، وهناك- أيضًا- في

المقابل- من يسكت، من يصمت، من يكتم الهدى والحق، في المقام الذي تكون فيه الأمة أحوج ما تكون إلى التبيين، إلى التوضيح، وإلَّا لما ضلت، أو ظلمت، وظلمت بالضلال، أو ظلمت في الواقع العملي والحياتي.

الكتمان- أيضًا- يمثِّل مشكلة خطيرة جدًّا، وعانت الأمة بسببه معاناة كبيرة جدًّا، الله يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ • إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠].

كيف تحصل حالة الكتمان هذه؟ عندما يكون هناك ضغط كبير أو إغراء، يعني: في المرحلة التي تتجه فيها قوى الضلال- مثلما فعل بنو أميَّة- إلى تعميم ثقافة معينة، أطروحات معينة، يقدِّمون بدائل معينة باسم الدين، ينزلون للناس مناهج أو أفكارًا معينة؛ ويعتمدونها في واقع الأمة، يشتغلون - في الوقت نفسه - حتى لا يصل الحق إلى الناس، ولا يبقى منهجًا قائمًا تربَّى عليه أجيال الأمة، يشتغلون في اتجاهين للعمل على إسكات الآخرين عن أن يقولوا الحق: حالة التخويف والتهديد والوعيد.

وتؤثِّر هذه الحالة بشكل كبير على كثيرٍ من الناس، فعندما يرى أنَّ القول بالحق، وأنَّ التبيين للموقف الحق، أو العقيدة الحقة، أو المبدأ الحق، أو المفهوم الحق الذي يعبِّر عن حقيقة الدين، ويتطابق- تمامًا- مع ما يقدِّمه القرآن والرسول (صلواتُ الله عليه وعلى آله)؛ يرى أنَّه من المحتمل أن

يدفع ثمن ذلك، يتعرض للخطر، يتعرض للسجن، أو يتعرض للشهادة، أو للمضايقة، أو اللوم والتوبيخ، أو يفقد مكانته المعتبرة في الساحة، وتوجه إليه: الإهانات، والاتهامات، و...إلخ.

فالبعض من الناس يسكت، يتفادى ما يمكن أن يحصل له من مشكلة، في مقابل أنه صدع بالحق، وقال بالحق، ونطق بالحق، وقدم ما يعبر عن حقيقة الإسلام؛ يتفادى ما يمكن أن يحصل له من مشاكل، أو خطورة تهدده في حياته، أو تهدده في وضعه الاقتصادي، أو تهدده في مكانته الاجتماعية... أو نحوًا من ذلك.

البعض - أيضًا - بالإغراء: تقدَّم إليه الإغراءات المادية؛ حتى يصمت عن قول الحق في مسائل معينة، ويحصل كلا الأمرين، ولهذا قال الله (سبحانه وتعالى) في آيةٍ أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾[البقرة: من الآية ١٧٤]، هذه الفئة أثَّر عليها الإغراء المادي، أُعطي مرتَّبًا معينًا، أموالًا معينة؛ وبالتالي يصمت عن قول الحق، وعن تقديم الهدى الذي في كتاب الله كما هو، وتقديم الدين من كتاب الله كما هو.

يأتي ليسكت عن أشياء مهمة، أشياء حسَّاسة، أشياء تزعج قوى الضلال والباطل؛ فيصمت عنها، ويسكت عنها، مثلما سكت الكثير ممن قد عرفوا وعلموا من كتاب الله ما قامت الحجة به عليهم أولًا قبل غيرهم، وسكتوا، سكتوا عن الجهاد، وفي القرآن الكريم مئات الآيات تتحدث عن الجهاد، البعض لا يتكلم بآية حول هذا الموضوع، عن المسؤولية

في جوانبها الأخرى، عن الموقف من أعداء الله، عن مسائل مهمة جدًّا، يصمت البعض عنها، ويسكت، ويكتم.

هذا الكتمان يساعد على تغييب الحق من الساحة، يظل الناس لا يسمعون كلامًا عن هذه المسألة: عشر سنين، عشرين سنة، خمسين سنة وهم لا يسمعون كلامًا عن هذا الموضوع، حتى يغيب من ذهنية الناس، وكأنه ليس من الدين، ومعروفة هذه الحالة في كثير من الأوضاع والظروف حصلت.

هذه الفئة من الناس (الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ)، لأن المسؤولية في تقديم ما أنزل الله كما هو، القرآن تحدَّث عن جانب المسؤولية، قدِّمه مثلما تقدِّم بقية المسائل، أنت شخصية علمائية، أو مثقفة... أو نحو ذلك، قدِّم ما أنزل الله كما هو، وبمستواه من الأهمية، لا تهمش مسألة رئيسية وتقدمها وكأنها مسألة هامشية، وهي أساسية، والقرآن أعطاها ما أعطاها من الأهمية، تحدث بشكل صحيح.

هذه الفئة موعودة بهذا العذاب الإلهي: ﴿أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾[البقرة: ١٧٤-١٧٥]، لَمَّا أخذوا المال، وأخذوا مصالح معينة مقابل أن يسكتوا عن قول الحق؛ كان حالهم على هذا النحو: ﴿اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾، ﴿وَالْعَذَابَ﴾، اشتروا لأنفسهم عذابًا، ﴿بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[البقرة: ١٧٥-١٧٦].

بين الصمت وبين تقديم البدائل.. غابت المعالم الأساسية

بين أن يكون هناك كتمان، وصمت، وسكوت عن أمور مهمة من دين الله، عن حقائق مهمة من دين الله، عن مواقف عملية مهمة من دين الله، نزلت بها آيات الله، ونطقت بها كلمات الله، وتضمنتها مساحة واسعة من كتاب الله، وكانت بارزة ورئيسية وأساسية فيما فعله وقاله رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم يسكت عنها، وتهمَّش، ولا يسمعها الناس في كثيرٍ من المناطق، لا يعتادون أن يسمعوا شيئًا عنها، وبين أن يكون هناك نشاط لتقديم بدائل: بدائل ضالة مضلة باطلة تحسب على الدين.

هذه كارثة، المحصلة واحدة: كتمان من جانب، وتقديم بدائل من جانب آخر؛ تنجح تلك البدائل في أن تنتشر هي ضمن مناهج دراسية، ضمن نشاط تثقيفي وتعليمي، من خلال المنابر، واليوم- أيضًا- من خلال وسائل الإعلام، وسائل هذا العصر في نشر الضلال بأكثر من وسائل الماضي، تكون المحصلة واحدة: وهي الضلال الذي ينتشر في الأمة، والتدين بالباطل، التدين باعتقاد عقائد على أنها من عقائد الدين، وهي باطلة، والتدين- أيضًا- بإحلال ما حرَّم الله، وتحريم ما أحلَّ الله، والتدين بمواقف أيضًا: ولاء، وبغض، وعداوة، ومحبة، كلٌ منها باسم الدين، ولكن بطريقة مغلوطة، وغير مطابقة للحقيقة، ومخالفة لما في دين الله، مما هو حقٌ يعبِّر عن دين الله بصدق؛ فتحصل انحرافات كبيرة باسم الدين ـ الدين الذي هو أساسٌ لصلاح الأمة ـ بالمفاهيم الخاطئة، بالتضليل ببدائل،

بالكتمان لحقائق؛ فيتحوَّل الانتماء الديني بنفسه إلى مشكلة، ويتحوَّل في واقع الأمة إلى مصدر لإفساد الأمة وتضليلها.

لقد تمكن بنو أمية من تفريغ الإسلام من مضمونه

وهكذا تمكَّن بنو أميَّة من تفريغ الإسلام من مضمونه، وقدَّموا بدائل كثيرة جدًّا تدجِّن لهم الأمة، وتفسد لهم الأمة، واتجهوا- بناءً على ذلك- إلى تربية مختلفة عن تربية الإسلام في أثرها، وفي نتيجتها في واقع الحياة.

ولهذا لاحظوا، فعلًا غاب من واقع الناس هذه النظرة القرآنية إلى المضلين: إلى الكاتمين، وإلى المفترين، الكاتمين لما أنزل الله من حقائق وحق، والمفترين بتقديم بدائل محسوبة على الله وعلى دينه، وأنَّهم الأظلم والأسوأ، وأنَّهم في سوؤهم وخطورتهم لهذه الدرجة التي لعنهم الله فيها: ﴿أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ هذا يدل على سخط كبير: ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾.

الجرائم الثقافية، الجرائم بالتضليل الذي يقدَّم عبر النشاط التعليمي والتثقيفي، ينظر الناس إليها باستبساط، وكأنها أشياء عادية، وهي خطيرة جدًّا، خطيرة للغاية، والكتاب الذي يتضمن باطلًا محسوبًا على الدين يمثِّل خطورة جدًّا، وكاتبه يعتبر عند الله من أظلم الناس وأسوأ الناس، الله قد لعنه، توعده بالعذاب وبالنار. وهكذا يجب أن تنظر الأمة؛ حتى تكون حذرة ويقظة من ذلك النشاط التضليلي الخطير جدًّا.

فهم (اتَّخَذُوا دِينَ اللهِ دَغَلًا) ويمكننا أن نعتبر أنَّ كثيرًا من: العقائد، والمبادئ، والمفاهيم، والتشريعات، حُرِّفت منذ الزمن الأموي، طبعًا لم يقتصر الأمر على الزمن الأموي، امتدت المسألة وتوسعت، ومع الزمن كثرت وكبرت، ولكن بدايتها الكبرى، ونشاطها الرئيسي جدًّا، والانحراف بالأمة عن المسار بشكل كبير جدًّا، كان من بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) وتمكَّن بنو أميَّة من السلطة، وبدأوا بالعمل النشط في ذلك، وحققوا نجاحًا كبيرًا في ذلك، امتدت آثاره إلى اليوم.[١]

(وعباده خولاً)

بنو أمية.. الاستعباد والاستئثار

(وَعِبَادَهُ خَوَلًا): حوَّلوا عباد الله إلى خَوَل، إلى خدم وعبيد مسخَّرين لخدمتهم ومستغلِّين، سيطروا على الناس، البعض منهم شكلوهم جيوشًا جرارة؛ لتكون ذراع بطش وجبروت يضربون بها من يريدون في أوساط الأمة، ويقمعون بها كل صوتٍ للحرية، وكل نشاط أو عمل يهدف لإعادة الناس إلى الاتجاه الصحيح، ويجعلون منهم: علماء سوء، أبواق باطل، المحدثين، الكاذبين والمفترين، القُصَّاص... إلخ. وكذلك منهم من يشتغل في الدعاية الاجتماعية، بكل الوسائل يجعلون الناس (خَوَلًا).[٢]

---

(١) من محاضرات الهجرة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي لعام ١٤٤٠هـ.

(٢) من محاضرات الهجرة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي لعام١٤٤٠هـ.

(وعباده خولاً) عملية استعباد للأمة بكل ما تعنيه الكلمة، وهذه قضية خطيرة؛ لأن من أهم وأعظم ما جاء به الإسلام، ومن أعظم ثمرات الاهتداء بهذا الإسلام، والتمسك بهذا الإسلام: هو إنقاذ البشرية من العبودية للطاغوت، من العبودية للعباد، إلى العبودية لله (سبحانه وتعالى) لرب العباد، فإذا بهم يجنون على هذه الثمرة الرئيسية التي هي في غاية الأهمية، ليست مسألةً هامشية من مندوبات الإسلام ومستحباته. |الا| مسألة أساسية وجوهرية، وغاية رئيسية لهذا الدين: التحرير للبشر، للرسالة الإلهية في كل العصور في كل عهد الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم): ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: من الآية٣٦](١).

فبنو أمية «اتخذوا عباد الله خَولاً» فاستعبدوهم وسخّروهم لخدمتهم ومصالحهم، ومظاهر الاستعباد والسُخرة للأمة من جانب حُكَّام الجور والظالمين متعددة وعلى كل المستويات:

على المستوى العسكري وفي ميادين القتال: حيث يدفعون الكثير من الناس للقتال والقتل في سبيل تقوية أمرهم، واستحكام سلطانهم، وتعزيز هيمنتهم، وسطوةً منهم بالمستضعفين، وظلماً للمظلومين، وبطشاً بالصالحين، وتنكيلاً بالأحرار، وإذلالاً للناس، وإنفاذاً لأمرهم الباطل فيما ليس لله فيه رضى، ولا للأمة فيه خيرٌ ولا مصلحة.

وعلى المستوى الثقافي والفكري: حيث يدفعون بعلماء البلاط ووعاظ

(١) من محاضرات الهجرة لعام ١٤٤١هـ.

السلاطين لتحريف المفاهيم وشرعنة الظلم، وتدجين الأمة باسم الدين، وإبعادها عن النهج القويم.

وعلى المستوى الإعلامي: حيث يدفعون البعض ليكونوا أبواقاً لهم، وألسنة سوءٍ كاذبة، فينشرون الشائعات الباطلة والأكاذيب، ويقولون الزور والبهتان، ويزيفون الواقع والحقائق، ويكتبون بأقلامهم المأجورة كذلك، خدمةً وسُخرةً وشكلاً من أشكال العبودية للطغاة.

(وماله دولاً)

بنو أمية اتجهوا إلى السيطرة على موارد الأمة البشرية والمالية

«وماله دولاً»: استئثار بالمال العام، نهب ثروة الأمة، مقدرات الأمة، واستغلال هذه الثروة الهائلة من الأمة، وهم فرضوا جبايات كبيرة على الأمة، يعني: مثلاً أخذوا الزكاة، أخذوا الخراج، أخذوا الفيء، سنوا ضرائب كثيرة تحت عناوين متعددة، دخلوا أيضاً في مسارات أخرى من جمع المال، مثل: المصادرة لممتلكات الناس بغير حق... أشكال كثيرة للجباية للمال، والاستئثار به، والاستغلال له في الترف والبذخ والمعاصي والفجور.

ثم في شراء الذمم وشراء الولاءات، ينهبون مال الأمة، وفي نفس الوقت يقدِّمون هذا المال لمن يخدمهم، لعالم السوء الذي سيصدر الفتاوى الباطلة التي تبرر جرائمهم، تخدم سياساتهم وتوجهاتهم، يقدمون من

هذا المال لمن سيتجنَّد معهم فيقاتل في صفهم، ويرتكب أبشع الجرائم في اعتداءاته على الناس (على المجتمع المسلم).

وهكذا استغلوا هذه الثروة، واستأثروا بها، وأفقروا الأمة، تركوا الفقراء، تركوا المساكين، تركوا أبناء الأمة، تركوا المجتمع الإسلامي يعيش حالة المعاناة والبؤس والحرمان، واستأثروا هم بثروة هائلة جدًّا، وكُتُب التاريخ لمختلف المذاهب تحكي العجب العجاب فيما كانوا يجمعونه من الأموال الهائلة جدًّا، وكيف كانوا يستأثرون بها، ويقتسمونها فيما بينهم كأمراء، ويصرفون العدد الكبير منها والكميات الكثيرة منها فيما ذكرناه من: شراء الذمم، وفي الترف، والبذخ، والمعاصي، والفجور.[1]

***

(١) من محاضرات الهجرة للسيد عبد الملك لعام ١٤٤١هـ.

عمار بن ياسر ودوره في كشف حقيقة بني أمية

من النصوص المهمة التي تحدَّث النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) بها حديثه عن الفئة الباغية الداعية إلى النار، في كلامه وفي حديثه عن عمَّار بن ياسر (رضوان الله عليه) وهو من كبار الصحابة الأخيار، عمَّار (رضوان الله عليه) الذي أخبر عنه النبي- وعلى مرأى ومسمع من الصحابة في المدينة- أنها ستقتله الفئة الباغية، التي كما ذكر عنها: **«يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار»**.

الداعية إلى النار، هذه الفقرة لها أهمية: جهة داعية إلى النار؛ وبالتالي لها دعوة، ودعوتها هي ضلالة، دعوة ذات نشاط إعلامي، نشاط فكري، نشاط تثقيفي، كله يدخل تحت عملية تضليل، كله تضليل، نشاط تضليلي في واقع الأمة؛ وبالتالي يشكِّلون خطراً كبيراً، يعني: من يستجيب لهم، من يتأثر بأفكارهم، بدعوتهم تلك؛ فإنه إلى النار لا محالة، وإلَّا فماذا معنى أن يكونوا دعاةً إلى النار، إلَّا أن دعوتهم: دعوة من استجاب لها وتأثر بها دخل النار، يكون من أهل النار؛ لأنها دعوة قائمة على التحريف لمفاهيم هذا الإسلام، دعوة من استجاب لها انحرف عن طريق الحق.

روى أسماء بن الحكم الفزاري قال: كنا بصفين مع علي بن أبي طالب تحت راية عمار بن ياسر ارتفاع الضحى، استظللنا ببردٍ أحمر، إذ أقبل رجلٌ يستقري الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار بن ياسر: هذا عمار. قال أبو اليقضان؟ قال: نعم. قال: إن لي حاجة

إليك فأنطق بها علانية أو سرا؟ قال: اختر لنفسك أي ذلك شئت. قال: لا بل علانية.

قال: فانطق.

قال: إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا، فتقدم منادياً فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونادى بالصلاة، فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتاباً واحداً، ورسولنا واحد فأدركني الشك في ليلتي هذه، فبت في ليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟.

قلت: لا. قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتبعه.

فجئتك لذلك.

قال له عمار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي فإنها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثلاث مرات وهذه الرابعة ما هي بخيرهن ولا أبرهن، بل هي شرهن وأفجرهن، أشهدت بدراً وأحداً أو حنيناً أو شهد لك أب فيخبرك عنها؟ قال: لا. قال: فإن مراكزنا على مراكز رايات رسول الله يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين وإن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى

هذا المعسكر ومن فيه؟ فوالله لوددت أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً فقطعته وذبحته، والله لدماؤهم جميعاً أحل من دم عصفور، أفترى دم عصفورٍ حراماً.! قال: لا بل حلال.

قال: فإنهم كذلك حلالٌ دماؤهم أتراني بينت لك؟ قال: قد بينت لي.

قال: فاختر أي ذلك أحببت.

قال: فانصرف الرجل، ثم دعاه عمار بن ياسر فقال: أما إنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون: لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا، والله ما هم من الحق على ما يقذي عين ذباب، والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغوا بنا سعفات هجر[1] لعرفنا أنا على حق وهم على باطل، وأيم الله لا يكون سلماً سالماً أبداً حتى يبوء أحد الفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق وأن قتلاهم في الجنة وموتاهم، ولا ينصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن قتلاهم وموتاهم في الجنة وأن موتى أعدائهم وقتلاهم في النار، وكان أحياؤهم على الباطل[2].

(١) وإنما خص هجر للمباعدة في المسافة ولأنها موصوفة بكثرة النخيل.

(٢) صفين ٣٢١.

وهم الجائرون عن الحق

نص آخر وهو أن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أمر علي بن أبي طالب عليه السلام بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين.[١].

وصف النبي لهم (صلوات الله عليه وعلى آله) بالقاسطين في حديثه عن الإمام علي (عليه السلام) ودوره المستقبلي في هذه الأمة، ومن ضمن هذا الدور: أنَّه سيقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين، وكانوا هم القاسطين، وهذا شيءٌ معروف في التراث الإسلامي والتاريخ الإسلامي، ما معنى القاسطين؟ القاسطين: الجائرين، المائلين عن الحق، والجائرين عن العدل، يعني: انحراف على مستوى الحق، انحراف عن الحق، الحق كعقيدة، كثقافة، كرؤية، كشرع، كنهج، انحراف عن هذا الحق، لديهم ضلالات كثيرة، أباطيل كثيرة تقدم كبدائل عن الحق، وباسم الإسلام طبعاً، باسم الإسلام، فهو ميلٌ عن الحق نفسه، وجورٌ عن العدل، طريق جائرة مائلة عن الحق وعن العدل، فهم أهل الظلم، طغاة، جائرون، ظلمة، متسلِّطون، وكل هذا أين يتجه؟

هل هو ظلم في الهواء، أو يتجه نحو الفضاء؟ هل مظالمهم تلك، جرائمهم تلك، أباطيلهم تلك، ضلالاتهم تلك، دورهم السلبي والتخريبي ذلك هل اتجه مثلاً إلى منطقة أخرى خارج الأرض، إلى المريخ مثلاً،

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج١٠ ص٤٧٨، كنز العمال ج١١ ص٢٩٢ المعجم الكبير للطبراني ج٨ ص ٤٢٠.

أو كوكب الزهرة، أم أنه انصب بكله في ساحة المجتمع الإسلامي، هم ظلموا هذه الأمة، أفسدوا في هذه الأمة، أضلوا في هذه الأمة، في المجتمع المسلم، في الأمة الإسلامية، ولذلك يعظُم جرم من يبرر لهم، من يدافع عنهم، من يقدِّم صورةً مختلفةً عن الحقيقة بشأنهم، فهم القاسطون، وهذا شيءٌ معروفٌ في التاريخ الإسلامي، والنبي أخبر عنهم بذلك (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذا متفقٌ عليه أيضاً.

ينزون على منبره نزو القردة

مما أخبر به النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ما رآه في منامه- من رؤى الوحي طبعاً- أنهم ينزون على منبره نزو القردة، يذبُّون الناس عنه. وكان لهذه الرؤيا مدلولها المؤلم جدًّا، يعبِّر عن طبيعة الدور الذي يصرف الناس عن نهج رسول الله، عن هدي رسول الله، منبره رمزيته في هذه الرؤيا تعبِّر عن دور الهداية الذي قام به الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في هذه الأمة، فهم سيصرفون الناس عن نهجه من موقع السلطة والحكم باسم الخلافة، وهو ملكٌ عضوض كما هو أيضاً متفقٌ عليه.

فإذاً هذا الدور السلبي جدًّا والتخريبي، وكانوا في هذا الدور يشبهون القردة، في كلما تعبِّر عنه هذه الصورة البشعة من حقيقة ما هم عليه من انحراف كبير، ومن دورٍ سلبيٍ وتخريبيٍ وتضليليٍ كبير.

من ضمن ما ورد عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) حديث: **«وأنَّ هَلَكَة هذه الأمة على أيديهم»** ومما روي: **«يهلك الناس هذا الحي**

من قريش قالوا فما تأمرنا ؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم».[١]

وقال **«هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش»** [٢] هلكة كبيرة، هلكة؛ لأن الأمة عندما فقدت المفاهيم الصحيحة الأساسية للإسلام لتكون هي السائدة في واقعها بكله، لتكون هي المفاهيم التي تبني عليها مسيرة حياتها؛ فقدت دورها العظيم والمهم والكبير، وخسرت إلى حدٍ كبير، تكبَّدت خسائر كبيرة جدًّا، امتلأت ساحتها الداخلية بالمظالم، أعاقتها عن دورها المهم في الواقع البشري، ثم أثَّر ذلك أيضاً على كل من تأثَّر بهم، بدعوتهم التي هي دعوة إلى النار، ليكون هالكاً باستجابته لتلك الدعوة، حتى ولو حسبت على الإسلام، لا يكفي أن تحسب وهي عملية تحريف وتزوير وتزييف للحقائق.

مما أيضاً ورد عن النبي (صلواتُ الله عليه وعلى آله) وتحدثنا عنه الوصم لهم بالطلقاء، فيما يعنيه هذا المدلول من فرض دائرة قانونية عليهم؛ حتى لا يحسبوا في عداد المهاجرين والأنصار، حتى لا يمكن أن يجعلوا من ذلك ذريعة لتسلّق الدولة الإسلامية تحت عنوان أنهم من المهاجرين أو من الأنصار، وكان من المعروف في الساحة الإسلامية ماذا يعنيه هذا المدلول من أنهم فئة معينة بالكاد تكون من المواطنين في هذه الدولة الإسلامية، دائرة دخلت في هذا الإسلام بالاستسلام بعد مرحلة طويلة من الصراع.

---

(١) البخاري في علامات النبوة في الإسلام (ج ٢ ص ٤٥٣).
(٢) البخاري (ج٦ ص ٤٥٣).

أيضاً ما أشرنا إليه عن وصية النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) للأنصار: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»، في بعض الروايات: (إلّا تفعلوا ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[الأنفال: من الآية٧٣]).[١]

وقد تذكَّر هذه الوصية البعض من الأنصار عندما وصل معاوية إلى المدينة وصعد إلى منبر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

ومما ورد فيه أيضاً قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «أوّل من يغير سنتي رجل من بني أميّة».

روى أبو يعلي في مسنده عن أبي ذرّ قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «أوّل من يغير سنتي رجل من بني أميّة»، ورواه ابن عساكر وأبو يعلي أيضاً من طريق أبي عبيدة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لا يزال أمر هذه الأمّة قائماً بالقسط حتّى يكون أول من يثلمه رجل من بني أميّة»، وقد أورد ابن عساكر في تاريخه، وابن كثير في تاريخه، وابن الأثير في تاريخه، وابن الجوزي في تاريخه روايات كثيرة في هذا الباب.

وممَّا لا شك فيه أن معاوية المقصود بهذا الحديث، فهو أول من غيّر السنن وبدل الأحكام الشرعية وسنّن البدع والضلالات والمحدثات في الدِّين كما سبق إيضاحه.[٢]

---

(١) تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٨٦ تاريخ دمش ج ٥٦ ص ١٥٥.
(٢) بلوغ الأمل ج١ ص٦٢.

هناك أيضاً أشياء كثيرة، نصوص كثيرة، اجراءات كثيرة عملها النبي في حياته (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله) مثل: نفيه للحكم بن أبي العاص من المدينة والطرد له نهائياً منها - هو والد مروان بن الحكم - نفاه مع أسرته من المدينة، وطرده كلياً عن المدينة؛ لدوره السلبي، وتجسسه على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وما كان يقوم به من تصرفات سلبية نقلها التاريخ.[1]

وهناك الكثير من النصوص والآثار التي رويت عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هذه التي ذكرناها كافية ووافية في أن نستفيد منها لتتكون لدينا صورة حقيقية عن طبيعة ذلك الدور السلبي والتخريبي، وعن مستواه الفظيع والخطير والشنيع جدًّا.

واقع بني أمية تجسيد لما ورد فيهم

وأيضاً إلى جانب هذا الاستشراف، وهذا التحذير، وهذا التنبيه الذي كان من جانب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يكفي ويفي في أن يكشف حقيقة دورهم الخطير جدًّا على هذه الأمة، والبالغ السوء في واقع هذه الأمة، أتى الواقع ليثبت ذلك، وما نقله التاريخ- وكما نكرر- التاريخ الذي يحسب لمختلف المذاهب، وليس فقط من جهة واحدة، أو من مذهبٍ واحد، التاريخ الذي هو معروف بين هذه الأمة.

(١) أنظر مروج الذهب ج ١ ص ٣٠٥، البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٠٨، الكامل ج٢ ص٢٠٨.

مصادر تاريخ المذاهب المختلفة والتيارات المختلفة، ما نقله هو الشيء الغريب العجيب، والله أعلم ما هو الذي خفي ولم ينقل، ما نقله فيه العجب العجاب؛ لأنها أحداث كبيرة، أشياء شهيرة.

أشرنا إلى إساءتهم إلى المقدسات، إساءتهم إلى الرسول، انتهاكهم لحرمة المقدسات الإسلامية، وأنبه أيضاً إلى أنهم أيضاً استهانوا حتى بحرمة القرآن الكريم، أساؤوا إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بتعبيرات ومواقف كانوا يطلقونها ويقولونها فيه.

أيضاً في مجالسهم الرسمية: مجلس الملك الأموي يُسبُّ رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في حضرتهم، من جانب من يقرِّبونهم ويدنونهم في مجالسهم من اليهود والكافرين، فيغضون الطرف عن ذلك، ويضحكون لذلك، وينسجمون مع ذلك، وإذا أتى أحدٌ ليزجر ذلك اليهودي الساب لرسول الله، يغضبون، ويعتبرون ذلك أذيةً لجلسائهم، كما حصل مع هشام، الملك هشام الأموي الذي غضب من الإمام زيد (عليه السلام) عندما انتهر اليهود الذي يَسبُّ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فقال: (لا تؤذِ جليسنا يا زيد).

كم نقل التاريخ من مثل هذه المواقف التي كانت توجه فيها الإساءات إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بشكلٍ مباشر تحت حمايتهم، مع ذلك عملوا خطةً أخرى للاستهداف لمقام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومكانته المهمة في نفوس المسلمين، وهي من أخطر ما فعلوه وما صنعوه، وهي تدخل تحت عنوان: **«اتخذوا دين الله دغلاً»**.

لقد اختلقوا وصنعوا الكثير من الروايات والأخبار، وما يطلق عليه بالأحاديث، مما فيه الحطّ من مكانة رسول الله، والإساءة الكبيرة جدًّا إلى رسول الله (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله) وأتى البعض ليقول عنها بأنها: [أحاديث صحيحة]، ثم تكتب، ينقلها الرواة، ويأتي من ينقلها في مجاميع حديثية، يحشرها مع بقية الأحاديث، وتقدَّم إلى الأمة على أنها من الحديث، وأنها من السنة، وفيها إساءات شنيعة جدًّا إلى رسول الله (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله).

من أسوأ ما روي وشكل ضربة عنيفة للأمة في أهم معلم وهو تحررها من عبوديتها للطواغيت ما روي زوراً بأن رسول الله (صلى الله عليهِ وآله وسلم) قال: :(يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنسي) قلت: (كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟) قال : (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)[1].

وهكذا تعاقب على الأمة أئمة قلوبهم قلوب الشياطين إلى الآن، وأخضع علماء السوء في هذا الزمن الشعوب للحكام، والحكام بدورهم أخضعوا الشعوب لأمريكا وإسرائيل.

في مقابل التعظيم لهذا أو ذاك، لهذا الشخص أو ذاك، لهذا الرمز أو ذاك، يحطون من مكانة رسول الله (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله) كم ورد من ذلك؟ الشيء الكثير الكثير.

(١) مسلم كتاب الإمارة / باب الأمر بلزوم الجماعة.

عندما يتهمونه على مستوى عملية التبليغ للوحي، وأن الشيطان تدخَّل ونطق على لسانه، وأنه افترى على الله وهو يقرأ سورة النجم! هكذا يقدِّمون عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه بينما يقرأ سورة النجم، وقرأ قول الله (سبحانه وتعالى): ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى • وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[النجم: ١٩-٢٠]، اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاة: أصنام من أصنام قريش التي كانت تعبدها، وتعكف عليها، وتشرك بها، تجعل منها آلةً مع الله (سبحانه وتعالى).

يأتون ليقولوا في روايةٍ اختلقوها وصنعوها وقاموا بصياغتها؛ للحط من مكانة رسول الله، وللتشكيك في أمانته في تبليغ الرسالة، وفي تبليغ القرآن الكريم، يقولون في روايتهم تلك: أنَّ الشيطان تدخَّل وسيطر في تلك اللحظة على الرسول، وعلى لسانه، وعلى منطقه، وجعله ينطق ليقول: [تلك الغرانيق العلا، وإنَّ شفاعتهن لترتجى]! يعني: تعبير فيه شرك، فيه افتراء، فيه تعظيم للأصنام، فيه كذب على الله (سبحانه وتعالى)، فيه إثبات الشفاعة لتلك الأصنام.[1]

بن عمر قال: حدثني يونس بن محمد بن فضالة الظفري عن أبيه قال: وحدثني كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قالا: رأى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من قومه كفاً عنه فجلس خالياً فتمنى فقال: ليته لا ينزل علي شيء ينفرهم عني! وقارب رسول الله، صلى الله عليه وسلم،

(١) المحاضرة الثانية بذكرى عاشوراء التاسع من محرم ١٤٤١هـ.

قومه ودنا منهم ودنوا منه، فجلس يوماً مجلساً في ناد من تلك الأندية حول الكعبة فقرأ عليهم: والنجم إذا هوى؛ حتى إذا بلغ: أرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى؛ ألقى الشيطان كلمتين على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فتكلم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بهما، ثم مضى فقرأ السورة كلها وسجد وسجد القوم جميعاً.(١)

على هذه الرواية التي اختلقوها وصنعوها، اعتمد سلمان رشدي في كتابه المسيء للإسلام، كتابه الذي حكم عليه الإمام الخميني (رضوان الله عليه) حكم عليه بالقتل؛ عقوبةً لما في ذلك الكتاب من إساءات إلى رسول الله، وإلى الإسلام، وإلى القرآن، اعتمد على مثل هذه الرواية.

فإذاً: كم ورد فيما قدَّموه كروايات وتكتب، وتصبح من الأحاديث، وتصبح ضمن المنهج الرسمي الذي يعتمد عليه في الساحة الإسلامية لدى كثيرٍ من أبناء الأمة، روايات تسيء إلى النبي بأشنع ما يمكن أن نتخيله أو نتصوره، حتى أنَّ البعض ممن يسيئون إلى الرسول في الغرب في هذه المرحلة وفي مراحل سابقة، كانوا يعتمدون في إساءتهم إلى رسول الله على تلك الروايات، يقولون: [هذه رواياتكم، يا أيها المسلمون هذه الروايات في مجاميعكم الحديثية، هي التي تقدِّمه أنه... وأنه... وأنه احتفل مع الشيطان في جلسة يوم العيد، وجلسة لهو وغناء وطرب، وأتى

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١ ج ص٣٠٥، الكامل في التاريخ ج١ ص ٢٦٥، تاريخ الطبري ج٢ ص٧٧.

فلان الصحابي فهرب منه الشيطان، وقطع تلك الجلسة]...[١]

فقد رووا كذباً وزوراً عَنْ عَائِشَةَ أنه قَالَتْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثٍ فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ دَعْهُمَا فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ فَإِمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِمَّا قَالَ تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ فَقُلْتُ نَعَمْ فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ خَدِّي عَلَى خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ حَسْبُكِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاذْهَبِي.[٢]

وهكذا قصصاً كثيرة، وحكايات مسيئة إلى رسول الله، [وأنه دخل إليه فلان وهو عارٍ ولم يتستر، ودخل آخر وهو عارٍ ولم يتستر، ودخل الثالث فتستر، لماذا؟ قال: لأن الملائكة تستحي منه، كيف لا أستحي ممن تستحي منه الملائكة].

فقد رووا عن عائشة قالت كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم

(١) المحاضرة الثانية بذكرى عاشوراء التاسع من محرم ١٤٤١هـ.
(٢) صحيح مسلم ج٤ ص ٤١٧.

استأذن عثمان فجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسوّى ثيابه ... فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة يا رسول الله دخل أبو بكر فلم تجلس ثم دخل عمر فلم تهش[1] له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة.[2]

كم ذكروا وكم أوردوا من عبارات، من عملية تصوير صورة شنيعة تقزم مكانة رسول الله في نفوس من يتأثر بتلك الروايات، بذلك القصص، بتلك الأحاديث، الكثير لدرجة أنَّ البعض يستحي الإنسان من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يتحدث به حتى عنهم، أن ينقل ما قالوه في رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

قبل كل ذلك على المستوى العقائدي فيما يتعلَّق بالعقيدة الإيمانية، فيما يتعلق بمعرفة الله (سبحانه وتعالى) فيما يتعلَّق بالعدل الإلهي، فيما يتعلَّق بالوعد والوعيد، فيما يتعلَّق بعالم الآخرة والجنة والنار والحساب والجزاء، كم صنعوا، كم زيفوا، كم غيَّروا، كم بدلوا.

فهم عملوا على أن تكون نظرة هذه الأمة إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) نظرة مجرَّدة من القدسية، من العظمة، من التأثر، بل نظرة يترتب عليها في الواقع العملي اتجاهات خاطئة، سلوكيات خاطئة، من يتأثر بمجموع تلك الروايات والأخبار لا يتحاشى- إن كانت رمزية الرسول

(١) الهشاشة والبشاشة بمعنى طلاقه الوجه وحسن اللقاء.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤٤ كتاب فضائل الصحابة ٣ باب ح ٢٤٠١ (ج ٤ / ١٨٦٦).

(صلوات الله عليه وعلى آله) عنده على ذلك النحو، بتلك الكيفية، بذلك التصور الذي قدَّموه- لا يتحاشى أن يكون في الواقع الذي يعتبر نفسه فيه متديِّناً، أن يكون على ذلك النحو من الانحرافات السلوكية، والتصرفات الغريبة جدًّا.

من يتأثر بما قدَّموه لن تكون علاقته بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلَّا علاقة قاصرة وناقصة، ويشوبها الكثير من النظرة الخاطئة، ستكون علاقة قاصرة وناقصة عن العلاقة المفترضة بين هذه الأمة وبين نبيها في التعظيم له، في التوقير له، في معرفة قدسيته، في معرفة ما هو عليه، في التأثر به، في الاقتداء به بشكلٍ صحيح، يفقد من يتأثر بهم، وبما صنعوه، وما اختلقوه من روايات وقصص وأخبار وسير اختلقوها يتأثر سلباً في ذلك.

أيضاً فيما يتعلَّق بعلاقتهم بالقرآن الكريم، ها هو أحد ملوكهم وقد استفتح في المصحف، فطلع في الصفحة التي رآها ووجدها عندما فتح المصحف، طلع أمامه قول الله (سبحانه وتعالى): ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ • مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ • يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[إبراهيم: ١٥-١٧]، أحد ملوكهم (الوليد) غضب غضباً شديداً، لماذا عندما استفتح في المصحف طلعت هذه الآية، فماذا عمل؟ قام باستهداف المصحف بالسهام ومزقه، وقال شعره المعروف الذي نقله المؤرِّخون:

أتوعدني بجبارٍ عنيد ... فها أنا ذاك جبارٌ عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشرٍ فقل يا رب مزقني الوليد

منتهى الاستهتار بالقرآن، هل بعد هذا استهتار بالقرآن الكريم، بأقدس المقدسات التي بين أيدينا كأمةٍ مسلمة، استهتار رهيب جدًّا:

إذا ما جئت ربك يوم حشرٍ فقل يا رب مزقني الوليد (١)

هكذا كانوا، وتصور إنساناً كهذا في موقع السلطة، يتأمَّر على الأمة الإسلامية، كيف سيكون مع هذه الأمة؟ كيف هي نظرته مع بقية تفاصيل هذا الدين وهو لا يحترم حتى القرآن؟ هل يمكن أن يحترم بعد ذلك شيئاً من هذا الدين؟ هل يمكن؟ لا، هم في هذا المستوى من السوء، من الخطورة على هذا الدين وعلى هذه الأمة في دينها، في أقدس مقدَّساتها، في منهجها العظيم، كيف يمكن أن يكون دورهم في داخل هذه الأمة إلَّا دوراً تخريبياً مسيئاً، يقوِّض المبادئ والقيم الإسلامية العظيمة، ويحل محلها ويقدِّم بديلاً عنها ما هو ضلال، ما هو سيء، ما هو فساد، ما هو انحراف، ما هو تزييف، وهذا يضيع الأمة.

انتهاك حرمة المقدَّسات في مكة والمدينة، حتى الكعبة المشرَّفة يستهدفونها بالمنجنيق، يحرقونها بالنار، يستهدفونها حتى الهدم، المدينة يستبيحونها، حَرَمَ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يستبيحون سكَّانها من المهاجرين والأنصار، ومن لحق بهم، ثلاثة أيام استباحها جيش يزيد: استباح فيها الدم والعرض والمال، ثلاثة أيام أباحها لجيشه: [أنِ

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤٤٦.

اقتلوا من شئتم، واغتصبوا من أردتم من النساء، وخذوا ما وجدتم من المال والممتلكات]، وارتكبوا أبشع الجرائم، فعلوا الأفاعيل، اغتصبوا بنات المهاجرين والأنصار، المئات منهن ولدن بعد ذلك ممن لم يكن قد تزوجن، انتهاك للأعراض، استباحة لشرف الناس وكرامتهم، لا قيمة عندهم للمسلمين، حتى للمهاجرين والأنصار، صدر أمر: [أنِ اقتلوا من وجدتموه من أهل بدر من بقي منهم]، وكانوا يلاحقون حتى من كان طاعناً في السن على فراشه، فيقومون بقتله؛ لأنه ممن حضر مع رسول الله في معركة بدر.(١)

أوليس هذا انتقام من رسول الله ومن الإسلام والمسلمين؟ انتقام لما يعود إلى جاهلية بني أمية، إلى مرحلة حربهم الصريحة ضد الإسلام من موقع الكفر والشرك والطاغوت، كان هذا هو الذي يحدث.

الوحشية والإجرام التي هي لا تمت إلى الإسلام بصلةٍ أبداً، مثل: قتل الأطفال، هم من كانوا جريئين في ذلك، وكانت جيوشهم وكان جنودهم وقادتهم يرتكبون مثل هذه الجرائم بكل بساطة في منتهى الوحشية والإجرام، أحد قادتهم (بسر بن أرطأة) عندما وصل إلى اليمن كان يذبح الأطفال في عهد الطفولة في سن الطفولة، يجيئون بهم إليه، ويأمر بذبحهم بشكلٍ مباشرٍ ومتعمد، أطفال؟!.(٢)

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ١١ ، ابن الاثير ٣/ ٤٧ ، ابن كثير ٨/ ٢٢٠، تاريخ اليعقوبي ٦/ ٢٥١، ابن كثير ٦ / ٢٣٤.

(٢) تاريخ دمشق ج١٠ ص ١٥٢.

في المدينة المنوَّرة عندما اقتحموها ماذا فعلوا؟ كانوا يأخذون الطفل الرضيع من أمه وهي تحتضنه وترضعه، وتحاول أن تتشبث به، وتسعى لحمايته منهم، يأخذونه عليها رغماً عنها برجليه، ويضربون به عرض الحائط فينثرون دماغه إلى الأرض، وكل هذا يحسب على أنه إسلام، وأنهم جنود الدولة الإسلامية، الذين يرتكبون هذه الجرائم الوحشية جدًّا.

حرملة عندما وجَّه سهمه ذو الشعب الثلاث لقتل طفل الإمام الحسين (عليه السلام) الرضيع وهو ظامئ جدًّا، أمه لم يبق فيها الحليب لترضعه، وقد أخرجه الإمام الحسين (عليه السلام) بأمرٍ من القائد العسكري الموالي لبني أمية فيقوم حرملة بتوجيه ذلك السهم إلى نحر ذلك الرضيع، فيذبحه من الوريد إلى الوريد، وهذا سيعتبر من الإنجازات للدولة وللجنود الذين يقدمون أنفسهم باسم الدولة الإسلامية...

بنو أمية صنعوا واقعاً مأساوياً

وهكذا صنعوا واقعاً مأساوياً مظلماً، واقعاً فيه التوحش، فيه الإجرام في منتهاه، في أقسى ما يمكن أن نتصوره، في أسوأ الممارسات الإجرامية التي يمكن أن تحصل في الواقع البشري وفي واقع أي أمةٍ من الأمم فيها طغاة، وفيها مجرمون، وفيها متسلطون، وفيها فاسدون، ثم يأتي البعض ليبسِّط كل هذا، بل لينفعل، بل ليغضب، بل أكثر من ذلك ليحاول أن يغطي على كل تلك الجرائم.

تأتي في عصرنا هذا مناهج دراسية في عددٍ من البلدان العربية لتقدِّم

صورةً مختلفة تمجِّد بني أمية وتعظمهم، وتتجاهل ما ورد في تاريخ الأمة - كل الأمة - من مختلف المذاهب عن ذلك التاريخ الإجرامي، عن تلك الممارسات الشنيعة جدًّا التي هي بعيدة حتى عن الإنسانية كإنسانية، من يمتلك الضمير الإنساني، من يمتلك المشاعر الإنسانية فحسب، ما بالك بالإسلام في عظيم ما يقدِّمه من مكارم الأخلاق، وما يربي عليه من المبادئ والقيم الإلهية العظيمة.

أين هذا كله من قول الله (سبحانه وتعالى): ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[الجمعة: من الآية٢]، هل يكون بعد قليلٍ من العقود من الزمن على هذا المستوى: يستهدفون الكعبة التي قدَّسها العرب حتى في العهد الجاهلي، واحترموها في العصر الجاهلي، فيأتي هؤلاء باسم الإسلام ويرمونها بالمنجنيق، ويحرقونها بالنار، يستبيحون حرم المدينة، يستبيحون العرض، يقتلون الأطفال على ذلك المستوى المتوحش، أتى الواقع فأثبت سوء ما فعلوا وما هم عليه.

حربهم لأهل البيت عليهم السلام وخيار الصحابة

حاربوا الإمام علياً (عليه السلام)، الإمام عليٌّ (عليه السلام) الذي هو بمنزلة هارون من موسى، الذي هو يمثِّل الامتداد الأصيل لمنهج الإسلام العظيم، حاربوه بعظيم منزلته ومقامه في الأمة، وعلى ماذا حاربوه؟ هل كانت المشكلة مشكلة هامشية؟ هل كانت حربهم عليه إلَّا حرباً على

الإسلام، الإسلام في أصالته، حاربوه؛ فكانوا هم الفئة الباغية، وكانوا هم القاسطين، وكانوا هم في موقع الباطل في سعيهم لمنع الإمام عليٍّ (عليه السلام) من نشر الإسلام، وتثبيت قواعده، وترسيخ منهجه وشرعه وفق ما قدَّمه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من إقامة العدل في واقع الأمة، حاربوه أشد الحرب، وتآمروا عليه حتى الاستشهاد، وهم من يتحملون المسؤولية في وزر قتله بالغيلة، وهو وزرٌ كبير، ووزرٌ شنيع؛ لأن مقام الإمام علي (عليه السلام) هو بعد منزلة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنه لا نبي بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان وزراً عظيماً وشنيعاً.

حاربوا الإمام الحسن (عليه السلام) وقتلوه بالسم، حاربوا الإمام الحسين (عليه السلام) وقتلوه في جريمة من أبشع الجرائم، لا مثيل لها حتى في العهد الجاهلي، ما فعلوه بالأمة من قتل أخيار الصحابة، المئات من الأخيار من صحابة رسول الله الذين جاهدوا مع رسول الله وجاهدوا مع الإمام علي (عليه السلام) وحاربوهم، وقتَّلوهم، واستهدفوهم، والبعض منهم في عملية إعدام فيما بعد ذلك، عمليات إعدام استهدفوا بها البعض من أخيار صحابة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أخذوهم وسجنوهم وأعدموهم، كم سجَّل التاريخ من هذه الجرائم البشعة والفظيعة جدًّا!.

وصلت حالة الاستغلال والطغيان والعبودية فيما فعلوه في المدينة، أن أجبروا من بقي من أهل المدينة- بعد وقعة الحرَّة- أن يبايعوا يزيداً على ماذا؟ على أنه ملك؟ لا. على الإمرة والسلطة؟ لا. أن يبايع الواحد منهم

على أنه عبدٌ قِنٌّ خالصٌ ليزيد بن معاوية، أيُّ بيعة هذه! وهكذا أجبروهم واحداً تلو الآخر، كل الذين بقوا من أهل المدينة أجبروهم على هذه البيعة، وختموا عليهم بختم الرِّق والعبودية، ختم معين، من خلال الكي بالنار بختمٍ معين كعلامة على أنَّ هذا الإنسان عبد.[1]

من صور انتهاكهم لحرمات الله

هذه الممارسات هل هي بسيطة؟! الإسلام الذي يربي على الكرامة والحرية والعزة، التربية الإسلامية في منهج الإسلام وفي منهج نبيه وهداته هي تربية على الكرامة، وليست إذلالاً لهذا المستوى من الإذلال والامتهان والقهر، على أنهم عبيدٌ قِنٌّ ليزيد بن معاوية، هكذا كانت ممارساتهم الإجرامية.

أمَّا على مستوى الاستباحة للأخلاق، انتهاك الحرام والحلال، وإلغاء قاعدة الحلال والحرام في كثيرٍ من الأشياء المهمة، فحدِّث ولا حرج، أعادوا الترويج للخمور في الساحة العربية والإسلامية، بعدما كان الرسول (صلواتَ الله عليه وعلى آله) بجهود كبيرة، وبنصوص تشريعية في القرآن الكريم وعبر رسول الله (صلواتَ الله عليه وعلى آله) وجهود كبيرة قد طهر الساحة الإسلامية- إلى حدٍ كبير- من هذا المشروب الخطير جدًّا الكارثي.

القرآن الكريم أتى بكثيرٍ من النصوص، من بينها ما ورد في القرآن

(١) مروج الذهب ج١ ص ٣٧٨.

الكريم عن الخمر أنه: ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾[المائدة: من الآية ٩٠]، ثلاثة أشياء: (رِجْسٌ) وكونه رجس هذا تحريم له، مع التنبيه على سوئه وخطورته، (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) وهذا تحريم إضافي، تأكيد على التحريم وعلى خطورته، (فَاجْتَنِبُوهُ) نهي حاسم وتحريم قاطع وواضح، فإذا بهم يروِّجون للخمر وينشرونه، وكان الواحد منهم يمسي سكراناً ويصبح مخموراً، بكل ما للخمر من آثار سيئة وتدميرية جدًّا، من إفساد للإنسان، (جُعِلت الشرور كلها في بيت، وجُعِلَ مفتاحه الخمر)، تشبيه للخمر بأنه مفتاح لكل المفاسد والشرور، المدمن على الخمر يمكن أن يرتكب أي جريمة، تفسد نفسيته بالكامل، يصبح إنساناً فاسد النفس، منحطاً، يقتل في نفسه الضمير والكرامة، ويصبح قابلاً لأن يرتكب أي جريمة أو فساد أو منكر، فروَّجوا للخمر، ونشروه في الساحة من جديد، وأساءوا بذلك، وكانوا هم من تَرِد إليهم القوافل المحملة بالخمور إلى قصورهم وإلى مواقع سلطانهم وإمارتهم.

انتشار المفاسد الأخلاقية: الفواحش أعادوا نشرها في الساحة بشكل كبير، روَّجوا لها، هيَّأوا لها، مثل ما هناك الآن هيئة ترفيه في المملكة العربية السعودية، كان لهم أنشطة- هم- أوسع من ذلك.

فهذا الدور الخطير جدًّا، الذي عملوا من خلاله إلى إفساد المجتمع الإسلامي، وإلى إبعاده عن الإسلام؛ حتى يصبح هناك نموذج مختلف، شكل مختلف من الإسلام، يبقي على بعضٍ من الطقوس والشعائر، مع إبعاد الكثير من الأسس والمبادئ والأخلاق المهمة التي تصلح واقع الحياة.

عملوا على تغييب الإسلام في واقع الحياة

غيَّبوا الإسلام الذي يصلح واقع الحياة، الإسلام الذي يحق الحق ويزهق الباطل، الإسلام الذي يقيم العدل في واقع الحياة، الإسلام الذي يسمو بالإنسان، يزكيه، يربيه على مكارم الأخلاق، يسمو به في فكره، في وعيه، في فهمه، في ثقافته، وأعادوا الكثير من الخرافات لتكون هي المنهج الذي ينشر في الساحة بشكل روايات، بشكل مواعظ، بشكل قصص، في عملية التعليم؛ حتى ملؤوا الكثير من عقول الناس وتصوراتهم ومفاهيمهم بالمفاهيم الخاطئة جدًّا، والخرافات الكثيرة جدًّا، هذا الدور السلبي هدف إلى إفساد المجتمع الإسلامي وتربيته ليصبح بيئةً متقبِّلةً للطغاة، للظالمين، للمجرمين، تربية الباطل، عندما يتحركون في ساحةٍ قد أفسدوها لا يجدون أي عوائق أمامهم، هم أرادوا ذلك وسعوا إلى ذلك مع عدائهم للإسلام نفسه، مع موقفهم السلبي تجاه الإسلام نفسه.

الإمام علي ودوره في مناهضة الطغيان الأموي

في مقابل ذلك ندرك ويتضح لنا أهمية وقيمة وعظمة الدور المناهض لهذا الدور السلبي، إذا كان هذا الدور السلبي والتخريبي والخطير جدًّا يتحرك في واقع الأمة مستنداً إلى إمكانات، وإلى جمهور، وإلى أتباع، وإلى جيوش، وإلى قدرات ضخمة يتحرك بها في الساحة الإسلامية، وفي الأخير وصل إلى السلطة؛ كانت القضية خطيرة جدًّا على المجتمع الإسلامي بكله، إذا تمكَّن هذا الدور من أن تستحكم قبضته بشكلٍ تام،

ولم يبق هناك من دورٍ صحيحٍ يناوئ هذا الدور، لضاع الإسلام نهائياً من واقع هذه الأمة، الإسلام في أصالته، الإسلام في حقيقته، الإسلام في مبادئه العظيمة، ولتحولت كل الساحة الإسلامية إلى واقعٍ مختلف وفق الصناعة الأموية، الشكل الذي قدَّمه أولئك، ولكانت المسألة في غاية الخطورة جدًّا جدًّا، لكن في المقابل كان هناك الدور العظيم والمهم الذي حفظ للإسلام امتداده، بالرغم من ذلك الدور التخريبي والسلبي لبني أمية، كان هناك الدور العظيم والمهم الذي حفظ للإسلام امتداده بأصالته، ليبقى حاضراً في الساحة يتصدى لذلك الدور التخريبي، وموجوداً عبر الأجيال ليمتد وليصل إلينا بنعمة الله (سبحانه وتعالى) في هذا العصر.

الإمام عليٌّ (عليه السلام) كان له الدور الأول من بعد وفاة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، والنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما تحدَّث عن الإمام علي (عليه السلام) بتلك النصوص، وسعى إلى أن ترتبط الأمة به من موقعه بعد وفاة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) في الهداية والقيادة لهذه الأمة؛ باعتباره يمثِّل الامتداد الأصيل والنقي والصحيح لهذا الإسلام العظيم، النبي أسس لأن يمتد هذا الإسلام بهدايةٍ من الله، بأمرٍ من الله، بتوجيهٍ من الله (سبحانه وتعالى)، ولهذا الإمام عليٌّ (عليه السلام) في حديث النبي عنه (صلوات الله عليه وعلى آله) الحديث الواسع عن منزلته، عن مقامه، عن دوره، عن أن تفهم الأمة أنه مع القرآن والقرآن معه، حينما كان يقول للأمة: «عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي»، «عليٌّ مع الحق، والحق مع علي»، عندما أعلن ولايته في يوم الغدير، عندما أتى بالكثير من النصوص بشأنه، وأنه

منه بمنزلة هارون من موسى، إلَّا النبوة، عندما تحدث عن دوره المستقبلي أنه: يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل النبي على تنزيله، وهذا من أهم النصوص، فيما يفيده من حفاظ على المفاهيم الإسلامية؛ لأن الخطر فيما بعد وفاة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) الخطر على هذه الأمة هو يأتي من التحريف للمفاهيم، الله حفظ القرآن الكريم في نصه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: الآية٩]، والنبي جاهد في مرحلة التنزيل، يوم كان العرب يكذِّبون بهذا القرآن حتى بنصه، الإمام عليٌّ (عليه السلام) كان له هذا الدور: أنه يقاتل على التأويل كما قاتل النبي على التنزيل؛ لأن الإمام علياً حفظ لنا المفاهيم الصحيحة والمصاديق للنصوص القرآنية، يوم أتى علماء السوء الموالون لبني أمية ليقدِّموا مفاهيم وتفاسير للنصوص القرآنية وللدين الإسلامي تخالف الحقيقة في عملية تزييفهم وتضليلهم.

الإمام عليٌّ (عليه السلام) كما تحدَّث عنه النبي أيضاً أثبت الواقع أنه نهض بهذا الدور، فكان هو الذي تصدى للدور الأموي وحاربه بنو أمية، عندما كان في الوقت الذي التفت حوله الأمة كخليفةٍ لها قام بنو أمية بمحاربته، ولم يطيقوه أبداً، فحاربوه حرباً شعواء، لكنه (سلام الله عليه) قام بدوره على أكمل وجه في أوساط الأمة، تحرَّك (عليه السلام) في أوساط الأمة بكل ما يستطيع، مع ما عاناه من تخاذل المتخاذلين، مع ما عاناه مما في واقع الأمة من تأثيرات سلبية أثَّرت على الكثير منها في مدى الاستجابة، لكن حركته، وجهاده، ونشاطه العام، وتقديمه النموذج في فعله وفي قوله وفي سلوكه المعبِّر عن أصالة الإسلام، قد حفظ لنا الإسلام، قد ثبَّت لنا الموقف

الحق، واكتشف الكثير من الأغبياء فيما بعد استشهاده (عليه السلام) أهمية هذا الدور عندما استحكمت قبضة بني أمية بعد استشهاده (عليه السلام)؛ لأنهم لم يتمكنوا من أن تستحكم قبضتهم على الأمة بشكلٍ كامل إلَّا بعد استشهاده (عليه السلام). أدرك البعض- آنذاك- خطورة دور بني أمية، وندم البعض على تخاذلهم في مناصرة الإمام عليٍّ (عليه السلام) ممن لم يكن يستوعب مستوى تلك الخطورة.

أهمية دور الحسن والحسين في هداية الأمة

الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فيما قال بشأنهما لفت أنظار الأمة إليهما؛ لترتبط الأمة بهما من موقعهما في هذا الامتداد الأصيل لحركة الإسلام في أصالته، **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**، ماذا يعني هذا النص؟ إلا لفت أنظار الأمة إليهما، أنهما من يمثلان هذا الامتداد الأصيل للإسلام، الإسلام الحقيقي الذي يوصل إلى الجنة في مقابل الفئة الباغية الداعية إلى النار، في مقابل هذا: مقابل الفئة الباغية الداعية إلى النار هنا الدعوة التي توصل إلى الجنة، **«سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خيرٌ منهما»**.

كم هي النصوص الكثيرة بشأن الحسن والحسين سبطي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) التي تؤكِّد منزلتهما، ودورهما المهم في هداية الأمة، حينما قال النبي (صلوات الله عليه وعلى آله): **«حسينٌ مني، وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسباط»**، ندرك هنا

أهميـة هذا الدور المهـم جدًّا؛ لأنه حفظ لهذا الإسـلام امتـداده، لو خلت الساحة الإسلامية من هذا الدور الذي يمثِّل امتداداً أصيلاً للإسلام الحق، لتمكَّـن بنو أميـة من طمس معالـم الإسـلام الحقيقية، لأطبقت السـاحة بكلهـا في حالةٍ من الإقبال على ذلك الزيـف، وتتربى عليه الأجيال جيلاً بعد جيل، ولكانت المسألة في غايةٍ من الخطورة.

فالنبـي فيما قالـه، والواقع فيـما أثبته من جهـد وجهاد وتضحيـة وبيان، وحركة واسـعة في أوسـاط الأمة، وصـولاً إلى التضحيـة بالنفس، الإمام عليٌّ استشـهد، الإمام الحسن استشهد بالسم، الإمام الحسين (عليه السلام) استشـهد فـي واقعة كربلاء[1] هذه الفاجعة الكبيـرة التي تدل بكل وضوح علـى مسـتوى الانحراف الـذي كانت قد وصلـت إليه الأمـة، ويدل أيضاً على مدى خطورة بني أمية وحقدهم على الإسـلام وعلى رموزه وأعلامه الحقيقيين من أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

***

(١) المحاضرة الثانية بذكرى عاشوراء التاسع من محرم ١٤٤١هـ.

وفي ذكرى عاشوراء

هذه الفاجعة الكبرى في تاريخ الأمة، نتطلع وكأمةٍ مسلمة - وكشعبٍ يمنيٍ مسلم يعيش أحداث كربلاء كل يوم - إلى الإمام الحسين (عليه السلام) في موقعه في الإسلام رمزًا عظيمًا، وإمامًا هاديًا، نتطلع إليه في مقام الهداية، والقدوة، والامتداد الأصيل النقي للإسلام رؤيةً وتطبيقًا، وقولًا، وفعلًا، وخُلُقًا، وموقفًا، وروحيةً، وسلوكًا.

نتطلع إلى الحسين (عليه السلام) في موقعه في آية التطهير، وفي آية المودة، وفي آية المباهلة، وفي سورة الإنسان، ومن موقعه في الصدارة والمكان العالي والسامي والراقي في كل آيات القرآن الكريم، التي تحدثت عن أولياء الله، والأخيار من عباد الله، ومواصفات المؤمنين، والمجاهدين، والصادقين، والمتقين، والأبرار، في مرتبته العليا، ومكانته الكبرى من تلك المواصفات.

الحسين (عليه السلام) في موقعه من حديث الثقلين، وحديث الكساء، وحديث السفينة، وحديث: «**حُسينٌ مِنِّي، وأَنَا مِنْ حُسَين، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَينًا، حُسَينٌ سِبطٌ مِن الأَسبَاطِ**»، ومن موقعه في الجنة المعبِّر عن علو مكانه في الدين، وعن عظيم مرتبته ودوره في الحياة، الذي عبَّر عنه النص النبوي: «**الحَسَنُ وَالحُسَين سَيِّدَا شَبَابِ أَهلِ الجَنَّة**»، وكل النصوص النبوية التي تعرِّفنا: من هو الحسين، وما هو مقام الحسين، وماذا يعنيه الحسين.

نتطلع إلى الإمام الحسين (عليه السلام) حينما تحرَّك في الساحة الإسلامية في مرحلةٍ من أخطر مراحل التاريخ، وهو يجسِّد مبادئ الإسلام، وقيمه، وروحيته، وأخلاقه، ويحمل رايته، ويقف موقفه في التصدي للطاغوت والطغيان الأموي الذي اكتسح الساحة الإسلامية- آنذاك- بجبروته وإجرامه، وتضليله وإغرائه.

نتطلع إلى الإمام الحسين (عليه السلام) في نداءاته في أمَّة جدِّه: نداءات الحق، نداءات الحرية، نداءات الكرامة، نداءات العزة، نداءات المضامين القرآنية، نداءات التوجيهات النبوية، نداءات الحكم العلوية، وهو يقول: (أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قَال: «مَنْ رَأَى سُلطَانًا جَائِرًا مُستَحِلًا لِحُرَمِ اللهِ، نَاكِثًا لِعَهدِ اللهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، يَعمَلُ فِي عِبَادِ اللهِ بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ، فَلَم يُغَيِّر عَلَيهِ بِفِعلٍ وَلَا قَولٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدخِلَهُ مُدخَلَهُ» أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ- وهو يتحدث عن سلطان بني أميَّة- قَد لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحمَان، وَأَظهَرُوا الفَسَاد، وَعَطَّلُوا الحُدُود، وَاستَأثَرُوا بِالفَيء، وَأَحَلُّوا حَرَامَ اللهِ، وَحَرَّمُوا حَلَالَه، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّر، قَد أَتَتنِي كُتُبُكُم، وَقَدِمَت عَلَيَّ رُسُلُكُم بِبَيعَتِكُم، أَنَّكُم لَا تُسلِمُونِي، وَلَا تَخذِلُونِي، فَإِن تَمَمتُم عَلَى بَيعَتِكُم، تُصِيبُوا رُشدَكُم، فَأَنَا الحُسَين بن عَلِيّ، وَابن فَاطِمَة بِنت رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) نَفسِي مَع أَنفُسِكُم، وَأَهلِي مَع أَهلِيكُم، فَلَكُم فِيَّ أُسوَة).

نتطلع- في يوم العاشر- من ساحتنا الإسلامية إلى الحسين (عليه السلام) وهو بذي حُسُم- منطقة في الطريق إلى الكوفة- وقد وصلت إليه

طلائع الجيش الأموي، ووصلت إليه أخبار تخاذل المتخاذلين، وتراجع المفرِّطين، وهو في قلةٍ قليلةٍ من صفوة الأمة الأوفياء، في ظروفٍ رضخت فيها معظم الجماهير للطغيان الأموي، واستكانت وذلت أمام جبروته، فوقف (عليه السلام) بذي حُسُم لحسم الخيار واتخاذ القرار، ثم قال (عليه السلام) بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (إِنَّهُ قَد نَزَلَ مِن الأَمرِ مَا قَد تَرَون)، الصورة باتت واضحة عن طبيعة المعركة: أهل الكوفة قد تخاذلوا آنذاك، وسقطت الكوفة تحت سيطرة ابن زياد، وجيَّش منها جيشًا كبيرًا، توجه نحو الحسين (عليه السلام)؛ للقائه في الطريق، واستهدافه قبل وصوله إلى الكوفة، (إِنَّهُ قَد نَزَلَ مِن الأَمرِ مَا قَد تَرَون- فِي تَخَاذُلِ المُتَخَاذِلِين، وَتَنَصُّل المُتَنَصِّلِين عَن المَسؤُولِيَّة، وَفِي قُدُومِ جَيشِ العَدُو- وَإِنَّ الدُّنيَا قَد تَغَيَّرَت وَتَنَكَّرَت، وَأَدبَرَ مَعرُوفُهَا، وَاستَمَرَّت جِدًّا؛ فَلَم يَبقَ مِنهَا إِلَّا صُبَابَةٍ كَصُبَابَةِ الإِنَاء، وَخَسِيسُ عَيشٍ كَالمَرعَى الوَبِيل، أَلَا تَرَونَ أَنَّ الحَقَّ لَا يُعمَلُ بِه، وَأَنَّ البَاطِلَ لَا يُتَنَاهَى عَنه، لِيَرغَب المُؤمِن فِي لِقَاءِ اللهِ مُحِقًّا، فَإِنِّي لَا أَرَى المَوتَ إِلَّا سَعَادَة، وَلَا الحَيَاةَ مَع الظَّالِمِين إِلَّا بَرَمًا).

هكذا تحدَّث، وهكذا حسم الخيار، وهكذا حدد القرار على ضوء هدي الله، من نور الله، بتوجيهات الله، بمقتضى ما هو عليه من إيمان، وهكذا هو خيار المؤمنين في كل عصرٍ وزمن، وهكذا هي رؤيتهم لحياةٍ يصبح الناس فيها تحت سيطرة الطاغوت، ولحياةٍ يهيمن عليها الأشرار والمستكبرون والظالمون؛ فيحوِّلونها إلى حياةٍ بئيسةٍ تعيسة، غارقةٌ في الظلم والظلام.

نتطلع اليوم إلى الحسين (عليه السلام) في ذروة الموقف يوم العاشر، وقد أحاطت به جيوش الأعداء، وهو يخطب خطابه فيهم؛ لإقامة الحجة عليهم، بما سبق منهم من العهود، وبما يعرفونه عنه في موقعه في الإسلام، وما له من الحرمة والعصمة في الدين، ويعرض عليهم الحلول المنصفة، التي كان بإمكانهم أن يتقبلوها دون حرج؛ حتى لا يتورَّطوا في أفظع جريمة، ويتحمَّلوا أكبر وزر، وحينما أصرُّوا على خياراتهم الباطلة في الاستسلام أو القتال، وجعلوا من خياراتهم المذلة عرضًا وحيدًا، نادى (عليه السلام) بنداء العزة والكرامة، وهتف بصوت الحرية، قائلًا: (لَا وَاللهِ لَا أُعطِيهِم بِيَدِي إِعطَاءَ الذَّلِيل، وَلَا أُقِرُّ إِقرَارَ العَبِيد).

نتطلع إلى الحسين (عليه السلام) وهو يخاطب أنصاره الأوفياء الأبرار، قائلًا: **(أَلَا وَإِنَّ الدَّعِي ابن الدَّعِي - وهو يقصد هنا عبيد الله ابن زياد - قَد رَكَزَ بَينَ اثنَتِين: بَينَ السِّلَّةِ، وَبَينَ الذِّلَّة، وَهَيهَات مِنَّا الذِّلَّة، يَأبَى اللهُ لَنَا ذَلِكَ، وَرَسُولُه، وَالمُؤمِنُون، وَنُفُوسٌ أَبِيَّة، وَأُنُوفٌ حَمِيَّة، تُؤثِر مَصَارِعَ الكِّرَامِ عَلَى طَاعَةِ اللئَام)**.

نتطلع إلى الحسين (عليه السلام) وأنصاره الأبرار، وهم يخوضون المعركة، بعد أن زحف العدو عليهم، ويتقدمون الواحد تلو الآخر، من الحر بن يزيد الرياحي، إلى آخر شهيدٍ من الأصحاب، ومن عليٍ بن الحسين الأكبر (عليهما السلام) إلى العباس بن عليٍ (عليهما السلام) وكلٌ منهم يسجل للتاريخ أعظم المواقف المعبِّرة عن الإيمان الصادق في مبادئه وقيمه

وأخلاقه، ويُضَمِّنُ سجل الحرية ودفتر الكرامة أعظم معاني الوفاء والإباء والشهامة والعزة.

نتطلع إلى الحسين (عليه السلام) وحيدًا فريدًا، والأوفياء الأصفياء في الميدان شهداء، والأعداء محيطون به من كل جانب، وهو (عليه السلام) لم يزدد إلَّا ثباتًا، وإلَّا عزمًا، وإلَّا تصميمًا، قد وَطَّنَ نفسه على الشهادة، لا يتزحزح عن موقفه، ولا يتراجع عن مبدئه، وهو يتطلع إلى لقاء الله محقًا، وإلى السعادة بنيل الشهادة، ولا يأسى على حياةٍ يراد للإنسان أن يبقى فيها ذليلًا مستعبدًا، يتقدَّم في الميدان بكل إباءٍ وعز، مشتاقًا بكل عشق-اشتياق يعقوب إلى يوسف كما عبَّر (عليه السلام) إلى اللحاق برسول الله، وأمير المؤمنين، والزهراء، والحسن (صلوات الله وسلامه عليهم) في ضيافة الله تعالى، حيث يجمع الله شمل أصحاب الكساء في حضيرة القُدُس، في محضر الكرامة الإلهية. والحسين (عليه السلام) بثباته، وجهاده، وتضحيته، واستشهاده، أبقى للإسلام امتداده وحضوره عبر الأجيال بنقائه وأصالته.

فنحن قائلون في هذا اليوم: السَّلامُ عَلَيكَ يَا سِبطَ رَسُولِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيكَ يَا نُورَ القُرآن، السَّلَامُ عَلَيكَ يَا بَسَالَةَ عَلِيّ وَتَفَانِيهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيكَ يَا تَبَتُّل الزَّهرَاء (عليها السلام) السَّلَامُ عَلَيكَ يَا سُؤدُدَ الحَسَن.

نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

***

المحتويات

ما هي علاقة الأمة بتاريخها؟ ٤
كيف هو الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم؟ ٤
الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم ليس حالة مفاجئة ٥
حقيقة الواقع المفترض لهذه الأمة ٥
نعمة الإسلام ليست خاصة بالجيل الأول ٨
هناك فجوة كبيرة في واقع الأمة ١٥
الأمة تعاني من مشكلات كبيرة ١٦
ما الذي حدث للأمة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه؟ ١٧
أبو سفيان ومرحلة الإسلام الأولى ١٨
(الطلقاء) ماذا يعني هذا الاسم؟ ٢١
فئة الطلقاء لم يعلنوا إسلامهم عن قناعة ٢٤
ما الذي يمثله وصول بني أمية إلى السلطة؟ ٢٥
الرسول يستشرف مستقبل الأمة في ظل السلطة الأموية ٢٥
ما الذي عمله بنو أمية بالأمة؟ ٢٦
إذا جئنا إلى الاستقراء للتاريخ كعناوين فيما فعلوه: ٢٦
بنو أمية والإمام علي عليه السلام ٣٠
بنوا أمية كانوا وراء قتل الإمام علي عليه السلام ٣٤
الأعراض في شرع بني أمية ٣٨
نظرة رسول الله للمستقبل بتنوير الله ورعايته ٣٩
الخطر الذي شكله بنو أمية على الأمة بعد وصولهم السلطة ٤٢
فتنة بني أمية في النص القرآني ٤٣
بنو أمية وخطورتهم على الاسلام وعلى الأمة ٤٦
النصوص النبوية تكشف مستقبل الأمة في ظل استحكام قبضة بني أمية ٤٦
«اتخذوا دين الله دغلا» ٤٧
الأمويون ومساراتهم في تحريف مفاهيم الدين ٤٩
مسارات التحريف التي سلكها بنو أمية ٥٠
أبشع أنواع الظلم والتضليل ٥١
ما الذي ساعد على نجاح المفترين؟ ٥٥
من يكتمون الحق ساعدوا في انتشار الافتراءات ٥٧

بين الصمت وبين تقديم البدائل.. غابت المعالم الأساسية ٦١
لقد تمكن بنو أمية من تفريغ الإسلام من مضمونه ٦٢
(وعباده خولاً) ٦٣
بنو أمية.. الاستعباد والاستئثار ٦٣
(وماله دولاً) ٦٥
بنو أمية اتجهوا إلى السيطرة على موارد الأمة البشرية والمالية ٦٥
عمار بن ياسر ودوره في كشف حقيقة بني أمية ٦٧
وهم الجائرون عن الحق ٧٠
ينزون على منبره نزو القردة ٧١
واقع بني أمية تجسيد لما ورد فيهم ٧٤
بنو أمية صنعوا واقعاً مأساوياً ٨٤
حربهم لأهل البيت عليهم السلام وخيار الصحابة ٨٥
من صور انتهاكهم لحرمات الله ٨٧
عملوا على تغييب الإسلام في واقع الحياة ٨٩
الإمام علي ودوره في مناهضة الطغيان الأموي ٨٩
أهمية دور الحسن والحسين في هداية الأمة ٩٢
وفي ذكرى عاشوراء ٩٤